مفاتيح الغيوب
وتعمير القلوب
في
تثليث المحبوب

للشيخ العلامة سيدي محمد بن شعيب حجازي الجيزي الخلوتي الأبشيهي

المتوفى بعد سنة ١٠٣٠ هـ

يليه

معنى قول القائل

لا إله إلا الله

المعبود بكل مكان الموجود بكل زمان

لسيدي عبد الغني النابلسي

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر

دار الحقيقة

مطبوعات

دار الحقيقة

اسم الكتاب:

مفتاح الغيوب وتعمير القلوب في تثليث المحبوب

المؤلف: محمد بن شعيب حجازي الجيزي الأبشيهي

المحقق: الشيخ أحمد فريد المزيدي.

الناشر: دار الحقيقة للبحث العلمي

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٨م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

٢٠٠٨/١٨٨٦

الترقيم الدولي/ isbn

٩-٨١-٦١٦٥٦-٩٧٧

الناشر

دار الحقيقة

للبحث العلمي

القاهرة- مصر

٠٠٢/٠١٠١٤٦٣٠٢٧

توزيع دارة الكرز

١٧ ش منشية البكري- مصر الجديدة - القاهرة

ت ٢٤٥٥١٣٠٤



مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أعجم حرف الوجود بنقطة نور جماله الأسني، ونوع أشكال الآثار لظهور معاني نتائج الأوصاف، فاتضحت لطائف أسرار أسمائه الحسنى، وأجرى في الحقائق والصور نفسه القدسي من غير حلول ولا كيف؛ فقامت به وله ذرات الكائنات دليلة عليه في حالة الإبعاد والإدناء، ونفى القرب والبعد منزهًا عنهما، ثم اختار إثابتهما، ومع ذلك فهو أقرب إلى الألباب منهما وأدنى، أحمده حمدًا تنقطع به الحدود والرسوم، وتغيب فيه الإدراكات والفهوم، وتخفى عنده الإضافة، وترتفع النسبة بكل وجه ومعنى.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، المقدس عن شهادة كل شاهد بما له من شهادة، بما له من الشهادة القدسية الأزلية الفردية العينية الغيبية، الشاملة للكمال الأحدي الأبدي صريحًا وضمنًا.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، مركز الحضرات، وساقي الخمرات، والمنجي من الحسرات جودًا وفضلاً ومنًّا، صاحب الرسالة، وواضح الدلالة، وكاشف الأسرار في بيان لطيف شريف تتم به الكتمان، والخارق بما أيد به من بديع البرهان حجب الأذهان، الفرد الجامع لأعداد الأعيان في مشاهد العيان فروعًا ومبنى، الحرف المعجم والصراط الأقوم، والإمام الأعظم والسابق الأقدم، والسائق كل شائق إلى الرفيق الأعلى، والرقيب الأهنى، شافع الوترية، ووتر الاثنينية، ومجمع اللطائف، ومنبع المعارف المتنوعة فرادى ومثنى، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أولي الأشباح الفرشية، والأرواح العرشية، والحقائق السامية التي اتخذت من اليقين في الظلم البشرية نبراسًا، وأقامت على ثغور وجودها من التقى حراسًا، فارتفعت إلى رياض القدس، وتعطرت بأرابيج نفحات الأنس عقلاً وذهنًا، صلاة دائمة باقية ما رفعت الستائر، وحققت الأشائر، وتنوعت المظاهر في رقي المآثر، فنال السائر من سنى المفاخر في أشرف المحاضر.

وبعد .. فهذا كتابٌ نفيس مبارك متميزٌ في نوعه جديد في نسقه وترتيبه، يعتبر دليلاً

موضحًا لمسألة تثليث المحبوب، وهو بمثابة المعجم الحقاني في وصف بعض ما تحقق بالدور الفرداني، المثلث بالوجود الصفاتي والذاتي.

وإن الشيخ الجيزي من السادة الصوفية الذين تأثروا بعلوم الشيخ الأكبر فأُفيض عليهم من أنوار أشعة أسرار الكبريت الأحمر، فتحققوا بعلوم الحقائق، وتفردوا فيه بالنطق والخط الرائق؛ فظهرت علومهم عالية المشرب مستجمعة للدقائق.

هذا وقد قمت بالضبط والتحقيق، والتخريج والعزو والتوثيق، وإصلاح ما لا يحصى من التصحيف والتحريف والكسر الواقع بالشعر، وسائر إشكالات النص، وكان عمدتنا في ذلك أمهات الكتب الناقل عنها المصنف وغيرها، وما هو إلا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب من دخول الباب، وحصول بركة الأعتاب، وطمعًا في ورثة أُولي الألباب.

واعلم أننا وإن لم نقف للمصنف على ترجمة إلا أنه تلميذ سيدي محمد مَاماي سبط مولانا الشيخ كريم الدين الخلوتي مؤسس الطريقة الخلوتية، وكذلك الشيخ أبو الفضل عبد الفتاح بن أبي بكر بن أحمد الشافعي الخلوتي، فنقطع بأنه من علماء القرن الثاني عشر الهجري، وذلك واضح أيضًا من خط النسخة.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ هادي العباد، ولباب اللباب، وموصل الألباب لحضرة القدوس الوهاب.

كتبه/ أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزيدي ٠١٠١٤٦٣٠٢٧

ترجمة المصنف

هو سيدي المحقق المربي بحر العلوم الشيخ: محمد بن شعيب بن محمد بن أحمد بن علي الحجازي، الشعيبي، الأبشيهي، السنديوني، الجيزي المصري، الشافعي.

كان حيًّا سنة ١٠٣٠ هـ.

من تصانيفه:

- الجوهر الفريد والعقد الوحيد.
- الفلاح في النصيحة.
- الاتضاح في مقام السلوك والتوحيد.
- مفاتيح الغيوب وتعمير القلوب في تثليث المحبوب (كتابنا هذا).
- المعاني الدقيقة الوفية فيما يلزم نقباء السادة الصوفية (بتحقيقنا).
- شق الجيوب عن أسرار معاني الغيوب.
- تجلي المحبوب في أفق سماء القلوب.
- آداب البدايات والتوسط والنهايات.
- التعبير في علم التفصيل.

قلت: وجميع ما ذكرنا له من مؤلفات كدنا ننتهي من تحقيقها بفضل الله تعالى.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الذي أشرق شمس التوحيد في صدور العارفين، وجعلهم رحمة في الوجود إلى الخلق أجمعين الناطقين بعلم الحقيقة والتوحيد المخلصين، المرشدين به إليه في كل وقت وحين، الآخذين عن سيد المرسلين ﷺ صاحب الرتبة العلية والحضرة القدسية والحقيقة المحمدية والدنيا والدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله واحد لا شريك له، شهادة عبدٍ طائع متوكل مستعين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين وآله وصحبه أجمعين.

وصلى الله عليه وعلى آله وصحابته وآله كل والتابعين، فصلاة وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد .. فأقول وبالله التوفيق في القول والفعل والتحقيق... إن علم التوحيد من أجلّ العلوم وأشرفها وأجلها وأعظمها وأكملها وأدقها وأفهمها، وقد سألني بعض إخواني من المحبين عن قول بعضهم:

تثلث محبوبي وقد كان واحدًا

ما معنى هذا التثليث وكيف يتثلث الواحد؟ فتيسر لي بيان ذلك إن شاء الله تعالى بعناية الله وتوفيقه، وجعله تامًّا لطيفًا فيه بهجة وأنوار، ومعانٍ وأسرار، وعبرة وتذكار.

فهي الثلاثية الزهراء، والعبارة المحققة الغراء، مثلثة بكل إشارة، ومخبرة عن كل عبارة مجموعة في هذا الكتاب، وتهدي بنورها إلى الصواب، وسميته كتاب **«مفاتيح الغيوب وتعمير القلوب في تثليث المحبوب»**، وجعلت كل تثليثة في باب، وإلى الله المرجع والمآب، فمن فهم معاينة كان في أمانيه، ومن حفظ حقيقته صفت له سريرته، ومن فهم العبارة كشفت له الإشارة، وبالله المستعان في كل وقت وأوان، فأقول وبالله التوفيق:

كل شيء يبرز من الفم ونطق به اللسان كان من المعقولات، وأما طريق الله تعالى ليست بعقل ولا بنقل، وإنما هي واردات إلهية ترد بتجليات باطنية فيشهدها العارف بالله

تعالى، على قدر تجلياته المعنوية قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:١٦٤].

وقال ﷺ: إذا صفت القلوب واطمأن الخاطر نطقت الألسن بما في الضمائر.

وقال ﷺ: إذا رأى المريد نفسه في الرؤيا أنه يكون جُنبًا ولم يكن به جنابة، فإن ذلك المريد يكون مشتغلاً بالآنية داخلاً في مقام الغيرية واقفًا مع هواجس نفسه الحسية، وإذا رأى نفسه أنه يكون طاهرًا مطهرًا ثابتًا في شهوده، فإنه يكون مشتغلاً بسيده، داخلاً في مقام الفردانية سائرًا في شهود الأحدية، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة:١٤]، ونشر من هنا في الثلاثية.

باب في تثليث العلوم

قال ﷺ: العلوم ثلاثة: علم شريعة، وعلم طريقة، وعلم حقيقة، ولكل علم من هؤلاء الثلاث علوم ميزان، علم يقين، وعين يقين، وحق يقين.

فالعلم اليقين: فهو الشريعة الظاهرة الحسية وميزانها العقل، **والعين اليقين**: فهو الطريقة المطهرة الباطنة وميزانها الشرع، **والحق واليقين**: فهو الحقيقة الحقيقية وميزانها علم التوحيد ونفي السواء، فمن صح عنده خلل في الشرع فليرجع إلى العقل، ومن صح عنده خلل في الطريقة فليرجع إلى الشرع، ومن صح عنده خلل في الحقيقة، فليرجع إلى التوحيد ونفي السواء، وذلك ثبات لكل شيء، ومن ضلَّ عن هذا الباب تاه وكان من الخاسرين نعوذ بالله من ذلك.

باب في تثليث النظر

قال ﷺ: والنظر ينقسم على ثلاثة أقسام: نظر حسي، ونظر معنوي، ونظر حقيقي.

فأما النظر الحسي: فهو نظر عقلي، وهو التفكر في المصنوعات لقوله ﷺ: **«تفكروا في مصنوعات الله توحدوا»**[1].

وأما النظر المعنوي: فهو نظر باطني وهو النظر للصانع كما قال بعضهم:

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٣٦)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/ ٢٦٣) بلفظ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذات الله».

نظـــــرت ربي بعـــــين قلبـــــي فقـــال: مـــن أنـــت؟ قلـــت: أنـــت[1]

وأما النظر الحقيقي: فهو المشاهد في المراتب كما قال بعضهم:

نظـــرت مراتـــب الأكـــوان تُجـــلى فأشـــهدت الوجـــود بهـــا ســـواك

فأنـــت وجـــود عـــين الكـــل حقًّـــا بعـــين القلـــب في نظـــري أراك

فـــصل جمعـــي بجمعـــك باتـــصال حقيقـــي وهـــديٍ مـــن هـــداك

باب في تثليث التوحيد

قال ﷺ: والتوحيد ينقسم على ثلاثة أقسام: توحيد للذات، وتوحيد للصفات، وتوحيد للأفعال.

فأما توحيد الذات: فهو إطلاق شهود أن الله في الكون وحده لقوله تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ**﴾ [لقمان:٢٥].

وأما توحيد الصفات: فهو باطن الذات وهو مقام الاصطفاء؛ أي: اصطفاء المظاهر ومحل المراتب لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [آل عمران:٣٣].

وأما توحيد الأفعال: فهو مقام الاستواء ونفي السّوى لقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[2][3].

---

(١) البيت للحلاج وصوابه:

رَأَيتُ رَبّي بِعَينِ قَلبي فَقُلتُ: مَن أَنتَ؟ قالَ: أَنتَ

(٢) رواه البخاري (١/ ١٤)، ومسلم (١/ ٦٧).

(٣) قال الشيخ القاشاني في معرفة التوحيد عند القوم ما نصه: التوحيد: اعتقاد الوحدانية لله تعالى، وهو على مراتب: توحيد العامة: هو أن تشهد أن لا إله إلا الله. توحيد الخاصة: هو أن لا ترى مع الحق سواه. توحيد خاصة الخاصة: أن لا ترى سوى ذات واحدة لا أبسط من وحدتها قائمة بذاتها، التي لا كثرة فيها بوجه مقيمة لتعيناتها التي لا يتناهى حصرها، ولا يحصى عددها، وأن لا ترى أن تلك التعينات هي عين العين المعينة لها، الغير المتعينة بها، ولا غيرها، فمن كان هذا مشهوده فهو المتحقق بالوحدانية الحقيقية، لأنه يشاهد الحق والخلق، ولا يرى مع الحق غيراً. وهذا هو الذي لم ينحجب بالغير غن رؤية العين، ولم ينحجب بنورها عن رؤية مظاهرها، بل قام بربه عند فنائه بنفسه، وهذا

=

التوحيد هو التوحيد القائم بالأزل.

التوحيد القائم بالأزل: يعنون به توحيد الحق لنفسه، وهو عبارة عن تعقل الحق لنفسه وإدراكه لها من حيث تعينه، ومعلوم أن هذا مما لا يصح لأحد غير الله تعالى إدراكه، ولهذا كان هو التوحيد الذي اختصه الحق لنفسه، لأنه لا يصح أن يوحده به غيره، فإن حضرته حضرة جمع لا تقبل تفرقة السوى لتنافيهما، وإليه أشار سيدي عمر بقوله:

وَلَوْ أنَّنِي وحَّدْتُ الْحَدْثُ وانْسَلَخْـ ـتُ عَنْ أيِ جَمْعِي مُشْركاً بِي صَنْعَتِي

قال أبو إسماعيل الأنصاري: وقد أجبت في سالف الزمان سائلاً، سألني عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث:

مَـــا وَحَّـــدَ الوَاحِـــدَ مِـــن وَاحِـــدِ إذْ كُـــلُّ مَـــنْ وَحَّـــدَهُ جَاحِـــدُ

تَوْحِيـــدُ مَـــنْ يَنْطِـــقُ عَـــنْ نَعتِـــهِ عَارِيَـــةٌ أَبْطَلَهَـــا الوَاحِـــدُ

تَوْحِيـــدُهُ إِيَّـــاهُ تَوْحِيـــدُهُ وَنَعْـــتُ مَـــنْ يَنْعَتُـــهُ لاحِـــدُ

فقوله: لاحد، هو معنى قول سيدي عمر ولو أنني وحدت ألحدت.

التوحيد الذي اختصه الحق لنفسه: هو التوحيد القائم بالأزل، كما عرفت ذلك وفهمت معنى هذه التسمية.

توحيد الأفعال: هو تجريد الأفعال الذي مر ذكره، وعرفت بأنه هو التجلي الفعلي الذي هو تجريد الفعل عما سوى الواحد الحق، بحيث لا يرى في الوجود فعلاً ولا أثراً إلا لله الواحد الحق تعالى.

توحيد الصفات: هو تجريد الصفات، وهو ما عرفته من معنى التجلي الصفاتي من أنه عبارة عن تجريد القوى والمدارك، وما ينسب إليها من الصفات عما سوى الحق تعالى.

توحيد الذات: هو تجريد الذات، والتجلي الذاتي، الذي مر ذكره وعرفت بأنه توحيد الذات عما سواها، وتجريدها بحيث لا يرى في الوجود إلا ذاتاً واحدة بتعيناتها.

توحد الأسماء وتكثرها: معناه أن الأسماء الإلهية لها اعتباران بأحدهما يكون كل اسم إلهي هو عين الاسم الآخر، وذلك هو من وجه توحدها، وبالاعتبار الآخر يكون كل اسم غير الاسم الآخر، وذلك هو جهة تكثرها، فإنه لما كان مسمى بجميع الأسماء صار كل اسم لأجل تقيده بمفهومه ومعناه مغايراً للاسم الآخر لا محالة. فإن مفهوم الضار غير مفهوم النافع، ثم أن كل اسم من حيث دلالته على الذات الأقدس غير مقيد بذلك المفهوم الذي تميز به عن غيره من الأسماء يكون عين الذات فهو عين كل الأسماء، ومشتملاً على جميع معانيها.

توحد الاسم والمسمى: معناه أن الاسم له اعتباران بأحدهما هو عين المسمى، وبالآخر هو غير المسمى، وذلك لأنه لما لم يصح في الذات أن تسمى باعتبار إطلاقها بل من جهة تعينها صار الاسم، إنما وضع للذات باعتبار ذلك التعين، فهو - أعني الاسم - متى اعتبر بالنظر إلى الذات كان معناه عينها، وإن اعتبر بالنظر إلى التعين كان معناه غيرها.

ونقول: إذا تصور معنى الاسم فقط مع قطع النظر عن المسمى صدق أن يقال: إن الاسم غير المسمى، لتعقل ذلك التجلي عن الاسم الآخر، أما إذا اعتبر المسمى بالاسمين المتقابلين مثلاً، كالقابض

=

والباسط ارتفعت المغايرة بين الاسم والمسمى، لأن القبض والبسط، وإن كانا متغايرين من حيث معناهما، فإن الذات المسماة بالقابض والباسط ذات واحدة، فمن هذا الوجه يصح أن يكون الاسم عين المسمى لوحدة المضاف إليه، وقد عرفت من هذا ما مر أن التعدد الواقع في الأسماء إنما هو باختلاف معانيها، وإن اتحادها لوحدة مسماها، فبالاعتبار الأول هو غير المسمى، وبالثاني هو عينه.

وأيضاً إذا قلنا: الاسم غير المسمى كان معناه أن أسماء الأسماء التي عرفت أنها الألفاظ، والألقاب الموضوعة بإزاء معانيها غير المسمى، وذلك واضح، وأن ما بأيدينا من معاني أسمائه تعالى ليست هي حقائقها لأنها ـ أعني: معاني أسمائه سبحانه ـ غير متكيفة لنا، ولا محدودة فيكون الاسم الذي نتعقله غير المسمى تعالى، وذلك أيضاً ظاهر، فإذا قلنا: إن الاسم عين المسمى أردنا بذلك أن أسماءه القديمة عين ذاته، وهي أسماؤه التي يذكر بها نفسه من حيث كونه متكلماً، وهي التي لا توصف بالاشتقاق والتقدم والتأخر والتكيف والتجدد، وهي عين المسمى إذ الوحدانية هناك من جميع الوجوه، فلا تعداد ليقال: إن الاسم غير المسمى فافهم.

توحد الذات بأسمائها: هو اتحاد الذات بالأسماء كما مر، ويسمى بالوحدانية.

توحد القوى والمدارك. ويعنون به نفي المغايرة بين قوى النفس وآلاتها بحيث يصير كل واحد من أعضائه يعمل عمل صاحبه غير متقيد بوصف وأثر لارتفاع المغايرة والغيرية من الأعضاء، بحيث يصير اللسان سمعاً وعيناً ويداً، وكذا السمع لساناً، وعيناً ويداً. والعين لساناً، وسمعاً، ويداً. واليد لساناً، وسمعاً، وعيناً. يعمل كل واحد منها عين عمل صاحبه، فالكل لسان ناطق وعين ناظرة، وأذن واعية، ويد باطشة.

وإلى ذلك أشار سيدي عمر بقوله:

فَكُلِّي لِسَانٌ ناظِرٌ مِسْمَعٌ يَدٌ　　لِنطْقٍ وإدْرَاكٍ وسَمْعٍ وبَطْشَةِ

وهذا ليس مختصاً بالأعضاء، بل هو مضطرد في كل ذرة من ذرات البدن بحيث إنها إذا أفردت عن صاحبتها، حتى صارت جواهر فريدة، فإنها تعمل عمل جميع الأعضاء، بحيث تصير كل ذرة من تلك الذرات تسمع جميع المسموعات. وترى جميع المرئيات، وتنطق بجميع الألفاظ والكلمات، وتفعل جميع المفعولات، وتبطش جميع البطشات، وإليه أشار سيدي عمر بقوله:

ومِنِّي عَلَى إفْرَادِها كُلُّ ذَرَّةٍ　　جَوَامِعَ أفْعَالِ الجَوَارِح أحْصَتِ

وهذا المقام هو مقام من كان متحققاً بمظهرية الحضرة المسماة بحضرة أحدية الجمع، فكما أن الذات في أول رتب تعيناتها المسمى بحضرة أحدية الجمع ذات واحدة مندرجة فيها شؤونها، بحيث تكون كلها لساناً محدثاً بلفظ واحد وكلها عيناً ناظرة بلحظه كذلك، وكذلك كلها سمع واحد لندائها وحديثها الوحداني بحرف واحد، وكذا كل يد قوة على نفاذ أفعالها وتصرفاتها، وكذا من تحقق بمظهرية هذا التعين الأول، انصبغ ظاهره بحكم باطنه الذي هو أحدية الجمع، بحيث تكون كل قوة من قواه، وكل عضو من أعضائه، وكل ذرة من ذرات صورته عاملاً عمل صاحبه غير متقيد بوصف وأثر مخصوص لارتفاع المغايرة والغيرية بين الجمع بحيث يصير كله لساناً، ولسانه كله عيناً، وعينه كله سمعاً، وسمعه كله يداً، فهو ينطق بما به يسمع، وبالعكس، ويرى بما به ينطق ويسمع وبالعكس، ويبطش بما به ينطق ويرى ويسمع وبالعكس، فهو ينطق بكل قواه وأعضائه وذراته بجميع

=

الكلمات، ويرى بكل قواه وذراته جميع المرئيات، ويسمع بجميع آلاته وذراته جميع المسموعات، ويقدر بكل ذرة من ذراته على جميع المقدورات، ويفعل بالجميع جميع المفعولات، بل وبكل ذرة من ذرات الكائنات يفعل ويدرك من غير تقيد ببعض الأفعال، أو الانفعالات لتحققه بمظهرية أحدية الجمع التي هي أبطن كل باطن وبطون، والمتحقق بهذا المقام هو القائل: «أنا للكل في الحقيقة كلّ».
يعرف هذا من فهم ما قلنا، وهذا الطور من المعرفة، وإن كان مما لا سبيل إلى إدراكه ذوقاً ما دام العبد متلبساً بصور الكائنات، ولم يتخلص قلبه من ربقة قيود التقيدات ولا ظهرت عدالته بزوال أحكام الانحرافات، إلا أنه قد يجد صاحب القريحة الوقادة إلى إمكان ذلك سبيلاً واضحاً، وذلك عندما ينظر في قوته الباطنة المسماة بصيرة القلب، والقوة العاقلة أو اللطيفة الروحانية أو غير ذلك، فإنه يجدها مع كونها قوة واحدة، فإنها تقوى على جميع ما تقوى عليه باقي المدركات، فيتحدث الإنسان بها في نفسه، ثم يسمع بها حديث نفسه، ويرى بها في نفسه، ويقدر بها على ضبط نفسه إن شاء عما شاء، وإرسالها فيما يشاء إذا شاء، ثم هذه القوة إذا اجتمعت عن تفرقة الظاهر إلى جمعية الباطن، ولو بالنوم، فإنها تزداد قوتها، بحيث يتمكن من رؤية ما تنشئه، وسماع ما تحدثه، ومخاطبة من يحضر بما يشاؤه من الكلمات، وترتيب ما يشاؤه من الصور والهيئات، وإذا كان هذا حال من قويت هذه القوة فيه باجتماعها إلى باطنها بالنوم، فما شأنك بمن تحقق بفناء العين في العين. وإلى هذا التمثيل المذكور في مضاهاة اتحاد القوى والمدارك في فعلها وانفعالها بما هي عليه القوة العاقلة المسماة بعين البصيرة من كونها تفعل بذاتها لا بآلاتها أفعال الجوارح، وإليه الإشارة بقوله:

وما فِيَّ عُضْوٌ خُصَّ من دُونِ غَيْرِهِ ... بِتَعْيِينِ وَصْفٍ مِثْلَ عَيْنِ بَصِيرَةِ

يعني أن حال أعضائي في كون كل واحد منها يعمل عمل الكل كحال قوة البصيرة في كونها لما كانت منزهة عن التقيد بأحكام الجسم والجسمانية لم يقتصر فعلها، وإدراكها على بعض أعمال دون الباقي، فهكذا لما عمّ ذلك التنزه لكلّيتي حتى سرى في جميع ذراتي عادت إلى بساطتها الأولية وإلى هيئتها الكلية فصارت متصفة بعدم التقيد. وبهذا يعلم أنه إنما اختص صاحب هذا المقام الأكمل الذي هو مظهر أحدية الجمع، لأن كل ما سواه من أعيان الكائنات، وإن كانت حضرة أحدية الجمع هي باطنه أيضاً لكونها هي باطن جميع العوالم، إلا أن ما وصفناه من إعطاء كل ذرة من ذراته خواص المجموع، إنما يحصل للنفس التي لما نزلت من حضرة الجمع والحقية في مراتب التفرقة والخلقية إلى أقصاها، الذي هو حكم هذه النشأة الدنيوية، عادت راجعة في مسيرها، عارجة في ظنها عن جميع مراتب التفرقة، وعن رؤيتها إلى حضرة أحدية الجمع. وذلك بإلقائها هواها الذي هو إحكام نشأتها الدنيوية، وقيودها الجزئية، فإنها إذا ألقت هواها وأثرها ثم عينها واثنينيتها حتى صار الإنسان بمجموع سره وروحه ونفسه وجميع صفاته وقواه، وأعضائه متحققاً بسيره إلى حضرة أحدية الجمع بأداء حقوق المقامات، والتوجه الوحداني والمداومة على هذه المتابعات والملازمات قولاً، وفعلاً، وحالاً، بحيث لا يزيغ بصره عن التطلع إلى ما ينبغي أن يكون متطلعاً إليه، ولا يطغى بالتطلع إلى ما لا ينبغي له أن يكون متطلعاً إليه، وهو ما سوى حضرة الجمع التي من شأنها حكم ما ذكرناه من الاشتمال، فحينئذٍ يظهر اشتمال كل واحد من صورته على خواص الجميع.

وأما ما دامت النفس متلبسة بأحكام بشريتها المقتضية بالاشتغال بالغير والغيرية، والتلبس بمتعلقات

باب في ثلاثية إنشاء الوجود(١)

قال ﷺ: وكذلك إن الوجود نشأ من ثلاث كما قيل في ذلك:

تَثَلَّـــثَ مَحبـــوبي وَقَـــد كـــانَ واحِـــداً   فـــزوج وفـــرد في الحقيقـــة واحـــد(٢)

فأول الوجود الألف وهو آدم، وباطنه حواء، وثالثه في الحقيقة الواحدة روح نبينا محمد ﷺ فكذلك تثلث الواحد.

=

الأجزاء والجزئية لم يظهر حكم الاشتمال المذكور الموجب لظهور كل ذرة بخواص الجميع، والإشارة إلى أن حصول هذه الجمعية مشروط بالإلقاء المذكور.

يعني: إن ألقت النفس هواها تضاعفت قواها حتى بلغت في التأثير إلى ما ذكرناه، وإن لم تلق هواها كانت باقية على ما يقتضيه جرميتها وجزئيتها، وحجابيتها بأحكام بشريتها، فافهم هذا لتعلم إشارات القوم فيما يذكر عنهم من الألفاظ التي لا تفهم معناها إلا بتدبر ما ذكرنا مثل قول القائل: «أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني»، ومثل ما مر في قوله: تَحقَّقتُ أنَّا في الحقيقة واحد»، بل وتعرف سر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾، بحيث تصير من أهل المشاهدة بأن الأمر كما أراد.

(١) اعلم أن الحق ﷻ تجلى في مراتب الوجود بالأركان الأربعة والشئون الأربعة، فأول الأركان: الماء وآخرها التراب، والماء أصل العناصر، نزوله من علو إلى السفل من السماء إلى الأرض، إشارة إلى أنه عين الطرفين من العبد والمعبود، وهما الحق والخلق علوي وسفلي، سماء وأرض، فمن نظر إلى السماء، فهو في علو، ومن نظر إلى الأرض، فهو في سفل من الطبائع، فانظر إلى الأصل تجد الفرع مرتبط به ارتباط افتقار؛ لأن منه حياته، وذلك بالارتباط، ألا ترى إلى أن ظل الشخص مرتبط به لا ينفك عنه ما دام موجودًا؛ فالأصل محسوس مشهود، والظل معقول متوهم عند أهل الكشف والوجود، فمن نظر العين بها نظر، ومن نظرها به لم ينظر، ومن لم يرها بحالٍ فهو محجوب به، فاختر أي مرتبة تكون أنت بها؛ فأنت بها، فلا تغفل، فإذا رأيت له به عرفته من جانب الطور الأيمن، فاسجد تحت العرش حتى تسمع الخطاب من فوق طور المناجاة: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه:١٤]، فهنالك نفح المعرفة ولكن بجبل عرفة المعروف بالحج كما قال القائل: «الحج عرفة»، فإذا سمعت المحدثة لحديثها أجابت من دعاها بـلبيك وسعديك بنا لا بغيرنا، فتنظر ليلة القدر؛ ولكن بعد السجود المعهود يصح اللقاء بدار البقاء ويزول العناء والشقاء وينتصر السلطان على جنود النفس وتزخرف الجنة لأهلها بالحور والولدان، وتملأ الشأن بهذه الواردات الإلهية في الفردوس الأعلى بلذيذ المناجاة والمشاهدات تجليه بالصفات والنعوت تجليه الجمالي صفة والجلال نعت، فالأول ما يلائم الطبع، والثاني بعكسه، ولكل منهما آداب بحسب ما يليق بالمقام.

(٢) البيت للشيخ محيي الدين بن عربي وصوابه:

تَثَلَّثَ مَحبوبي وَقَد كانَ واحِداً   كَما صَيَّروا الأَقنامَ بِالذاتِ أُقنُما

فأما المعنى: فهي روح النبي ﷺ القائمة بالوجود، كما قال الغزالي ﷺ في معنى ذلك: روح جسد الكونين وعين حياة الدارين وهي حقيقة الواحدة، **وأما المبنى**: فهي اثنين وهي آدم وحواء، فجميع الوجود ناشئ من هذه الثلاث ظاهرًا وباطنًا، كما أن نقول جبريل ﷺ وعيسى ومريم – عليهما السلام– كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران:٥٩]، فهذا دليل التثليث والله سبحانه أعلم، وكما أنّا نقول: اسم ومسمى ومعنى.

فأما الاسم: فهو آدم، **وأما المسمى**: فهو حواء، **وأما المعنى**: فهي روح النبي ﷺ كما تقدم، ودليل ذلك قوله ﷺ: «**أنا من الله والمؤمنون مني**»[1]، فمن كان ناظرًا بعين عقله الحسي فكان ناظرًا بشهوده إلى الاسم وهو آدم ﷺ، ومن كان ناظرًا بعين فكره المعنوي فكان ناظرًا إلى المسمى؛ أي ناظرًا إلى نفسه وهي حواء لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣]، ومن كان ناظرًا بعين حقها الحقيقي فكان ناظرًا إلى المعنى وهي روح نبينا ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ [النساء:٧٨] وأيضًا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [الأعراف:١٨٩].

باب في تثليث العقل

قال ﷺ: وكذلك العقل ينقسم على ثلاثة أقسام: عقل معاشي، وعقل جوهري، وعقل برزخي.

فأما العقل المعاشي: فهو عقل العوام، **وأما العقل الجوهري**: فهو عقل العارفين، **وأما العقل البرزخي**: فهو عقل المحققين العالمين بالله، كما قيل:

تنقلت من علم اليقـين لعينـه إلى حقـه[2]

فالعين فيها البدائع فكان علم اليقين هو العقل المعاشي الحسي، وكان عين اليقين هو العقل الجوهري المعنوي وهو عقل العارفين الذين شهدوا المحرك، وكان حق اليقين هو العقل البرزخي الحقيقي وهو عقل المحققين العالمين بالله المشاهدين للمراتب؛ لأن العقل البرزخي لا يكون إلا بعد موت، ولأن المحقق العالم بالله ما اطلع على ذلك إلا بعد موت

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (١/ ٢٧٣).

(٢) لعله أراد شطرة من بيت ابن الفارض التالي:

أُسافِرُ عن عِلْمِ اليقينِ لِعَيْنِه إلى حقّه حيثُ الحقيقةُ رِحلتي

نفسه لقول النبي ﷺ: «**موتوا قبل أن تموتوا**»[1] وأما الإنسان الكامل هو الذي وسع الحق أي: وسع تجلياته، فهو مركز التجليات الإلهية، ودليل ذلك ما ورد في بعض الأحاديث القدسية عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: «**لا تسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[2]، ثم وإن هذه العقول الثلاثة مختصة بآدم وذريته، وأما كل دابة في الأرض من جميع المخلوقات، فلها عقل مناسب لحالها كخطاب النملة لسليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ**﴾ [النمل:١٨]، فكان ذلك الخطاب بعقلها المناسب لحالها، وأيضًا خطاب الثعبان والغزال والجمل وغير ذلك للنبي ﷺ والأسانيد في ذلك كثيرة، وإن العلم علم الباطن لا يخبر عنه إلا العقل البرزخي: وكل عقل وله نور مختص به، فأما **العقل المعاشي**: فنوره الشريعة، **وأما العقل الجوهري**: فنوره الطريقة، **وأما العقل البرزخي**: فنوره علم التوحيد النافي للسواء الكامل في الاستواء، وكل عقل من هؤلاء الثلاثة ناشئ عن أصل، فأما **العقل المعاشي**: فهو ناشئ عن النفس وهو دليلها، وأما **العقل الجوهري**: فهو ناشئ عن الروحانية، وأما **العقل البرزخي**: فهو ناشئ عن الروح لأن الروح غيب لا يعلمها إلا الله تعالى، وكذلك العقل غيب لا يعلمه إلا الله تعالى كما قال تعالى: ﴿**وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا**﴾ [الإسراء:٨٥]، وفي هذا المعنى نقول: ملك، وملكوت، ولاهوت، فالملك: هي النفس، والملكوت: هي الروحانية، واللاهوت: هي الحقيقة الواسعة.

قلت: ولقد حضرت الأستاذ ﷺ ذات يوم وقد سأله شخص عن قوله في أول الثلاثية كل شيء برز من الفم نطق به اللسان كان من المعقولات، وأما طريق الله تعالى فإنها ليست بعقل ولا نقل، فبأي شيء تفهم طريق الله تعالى؟.

فأجاب ﷺ وقال: إنما هي واردات إلهية ترد بتجليات باطنية، فيلهمها العارف بالله تعالى على قدر تجلياته المعنوية، فيخلق الله تعالى له عقلاً جديدًا في تلك الساعة على قدر التجلي يكون مخاطبًا به في تلك الساعة لأهل تلك الحضرة كما قال تعالى: ﴿**بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ**﴾ [ق:١٥]، فمن ذلك يُلهم السير إلى طريق الله تعالى كرسول الحاكم إذا أتى إلى شخص يطلبه عند الحاكم، فيغيب ذلك الشخص في تلك الساعة، ويغيب عن عقله بطلب الحاكم له، ومثال ذلك أيضًا: الميت إذا نزل في قبره ولبسته الروح في تلك الساعة وحضره الملكان إلى سؤاله في قبره، فيخلق الله تعالى له عقل مناسب لرد جواب الملكين، فهذا هو العقل البرزخي ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ**﴾ [إبراهيم:٤٨].

باب في تثليث التجليات[3]

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٣٨٤).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٤٩٦)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٢٩).

(٣) إن من أفضل ما صنف في علم التجليات رسالة: «نور الدلالات لمشاهدة التجليات» بتحقيقنا.

قال ﷺ: والتجليات تنقسم على ثلاثة أقسام: تجليات العوام، وتجليات الخواص، وتجليات خاص الخواص، فأما **تجليات العوام**: فهي تجليات الشريعة على العالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وأما تجليات الخواص: فهي خصوصية لأناس دون أناس من رب العالمين كما قال تعالى: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥].

وأما تجليات خاص الخواص: فهي تجليات الاصطفاء كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج:٧٥].

باب في تثليث الوصول

قال ﷺ: وكذلك الوصول ينقسم على ثلاثة أقسام وهو: بداية، وتوسيط، ونهاية، فالبداية: فهي الشريعة المحمدية، وأما التوسط: فهي الطريقة الباطنية، وأما النهاية: فهي الحقيقة الربانية الحقيقية، فلا يتوصل الشخص إلى الطريقة إلا من الشريعة، ولا يتوصل إلى الحقيقة إلا من الطريقة، ومن دخل من الباب نال المآب والله الموفق للصواب[1].

باب في تثليث الغذاء

قال ﷺ: وكذلك الغذاء ينقسم على ثلاثة أقسام: غذاء العوام، وغذاء الخواص، وغذاء خواص الخواص، فأما **غذاء العوام**: فهو للأجسام كالأكل والشرب لا غير ذلك، وأما **غذاء الخواص**: فهو استعمال الجوارح بالطاعات وعدم المخالفات، وأما **غذاء خواص الخواص**: فهو مشاهدتهم بعين البصيرة لله من غير كيف ولا أين، فجلَّ ربنا عن الكيف والأين كما قيل:

---

(١) **قال المصنف**: ما وصل الواصل إلا إليه من حيث الأحدية لا من حيث المسافة، فما رأى له عنه انفكاك إلا إلى دار الخلد يكون الارتباط مع بقاء الأحدية المستحبة على كل المراتب، فبالأحدية اتصلت الواحدية لأنها المبدأ والمآل، فما ثم وصول إلى شيء بحال من الأحوال، وإنما هو محو وإثبات وعروج ومراجعات منه إلى تجلي المعرفة، والمعرفة هنا لا تصح، وإنما يصح العلم، والعلم عين والمعلوم أنت، فبالعين وجد العلم والمعلوم، وبالمعلوم بطل الجهل، وخفي في بحر العدم؛ لأن الحادث لا يقارن القديم، والقدم رحمة سابقة نشرت حكمها على كل من وجد حتى العدم لو وجد وما ثم إلى الوجود، فالرحمة لا تفارقه أبدًا: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٥٦] إيجادًا وإمدادًا، فبالرحمة وسعت الرحمة، فما بالك بالغضب العارض الذي أصله العدم، فالزم الرحمة، فإنما يرحم الله من عباده الرحماء. [نور الدلالات ص ٥١] بتحقيقنا.

عـــذابي شـــهود الحـــق في كـــل ذرة   وقـــوتي وعمـــلي واتـــصالي ونـــشأتي

باب في تثليث الحية

قال ﷺ: والحية تنقسم على ثلاثة أقسام: قسم حسي، وقسم معنوي، وقسم حقيقي، فأما القسم الحسي: هو ما ورد في الخبر أن الله تبارك وتعالى خلق حية عظيمة يقال لها العزة وهي مطوقة بالعرش تكاد أن تبتلعه قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ [الصافات: ١٨٠]، وأيضًا الحية هي صورة الثعبان الظاهر.

وأما القسم المعنوي: عند أهل الله تعالى فهو الدنيا والسم هو حبها، فمن احتوت على عقله الدنيا بحبها لدغته وقتلته وأهلكته، فحبها سم قاتل والحرص عليها موت عاجل كما قال النبي ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[1].

وأما القسم الحقيقي عند أهل التحقيق: هو حب الدرجات والمقامات وإظهار الكرامات، فمن وقف مع شيء من ذلك، فهو مغرور مفتون هالك نعوذ بالله من ذلك، كما قيل: كرامات أهل الله كالحيض عندهم ولم يرتضوها في مقام الولاية، ولم يقفوا في سيرهم عند رقبة ولا مع مقام، فهو سم يمقت.

باب في تثليث أهل الطريق

قال ﷺ: وكذلك ينقسم أهل الطريق على ثلاثة أقسام: قسم أهل قال، وقسم أهل أفعال، وقسم أهل حال.

فأما أهل القال: فهم الواقفون مع الأقوال، وأما أهل الأفعال: فهم الغائبون بالفنون، وأما أهل الحال: فهم الراسخون المتحققون المتمكنون ودليل على ذلك قوله ﷺ: «الشريعة قالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة حالي»[2].

باب تثليث المعرفة[3]

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/ ٣٦٨)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٤١٢).

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٦).

(٣) المعرفة: في اصطلاح الطائفة: عبارة عن إحاطة العبد بعينه، وإدراك ما له وما عليه. وقال الجنيد: أن تعرف ما لَكَ وما لَهُ.

والمعرفة أول المنازل العشرة التي يشتمل عليها قسم نهاية منازل السائرين إلى الله.

المعرفة الحقيقية: هي المشار إليها بقوله ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربّه».

قال ﷺ: والمعرفة تنقسم على ثلاثة أقسام: معرفة العبد لنفسه أي: لمصالح نفسه الدنيوية، ومعرفة العبد لربه ليزكي بها نفسه العلوية، ومعرفة العبد بحقه وهي المعرفة القدسية، كما قال ﷺ: «من عَرف نفسه فقد عرف ربه»[1].

باب في تثليث بروز الكون

قال ﷺ: وكذلك الكون برز من ثلاث: وهو ملك، وملكوت، ولاهوت، ولكل ملك من هؤلاء الثلاث إمام يختص به، فأما إمام الملك: فهو إمام الشريعة الظاهرة.

وأما إمام الملكوت: فهو إمام الطريقة الباطنة، وأما إمام اللاهوت: فهو إمام الحقيقة التي هي باطن الطريقة، وقد قلت في ذلك أبياتًا:

أئمـــة أهــــل الــــدين حقًّـــا ثلاثـــة ... ســـأبديهم في فهـــم علمـــي وإتقـــان

فأحـــدهم عـــين الـــشريعة حـــاذق ... همـــام إمـــام الملـــك فيـــه بـــإعلان

وثـــانيهم عـــين الطريقـــة باطنًـــا ... بـــه ملكـــوت الكـــون في الكـــون نـــشآن

وثـــالثهم لاهـــوت كـــل حقيقـــة ... إمـــام وبحـــر يرتـــوي كـــل ظمـــآن

فتلـــك أئـــمّاء الوجـــود عـــلى المـــدى ... بكـــل زمـــان قـــائمين بإمكـــان

=

فالمعرفة الحقيقية هي المعرفة الجامعة بين معرفة النفس ومعرفة الرب مترتبة على المحبة الذاتية من المقام الأحدي الجمعي، الذي هو غاية الغايات، ونهاية النهايات، وذلك بإيفاء مقام الإسلام حقه، ثم مقام الإيمان، ثم مقام الإحسان.

المعرفة العيانية: هي ما يحصل من الشهود لمن فجأه الحق بتجلٍّ غير مضبوط ولا مكيف، بحيث يستلزم ذلك الشهود، وتلك المعاينة معرفة لم ترد على حال معين، وكان من شأن تلك المعرفة معرفته سبحانه أنه بكل وصف موصوف، وأن له ظاهرية جميع الصور والحروف جمعاً وفرادى، وتكثراً وتوحداً يقبل بالذات من كل حال كل حكم ويظهر بكل اسم، ويتسمى من حيث كل شأن من شؤونه التي لا تتناهى بكل اسم لا ينحصر في عرفان ونكرة، ولا يتنزه من حيث ذاته عن أمر نسبة التركيب إليه كالبساطة، والإطلاق والتقييد والإحاطة، وحدته وحدة وكثرة جامعة بين ما يباين، ويوافق وينافر ويخالف [لطائف القاشاني].

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (١/ ٢٢٥)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٣٤٣).

فخـذهم مـن الخـبر اللبيـب بمكنـة   فقـد جمـع التحقيـق فيـه وعرفـان

باب في تثليث الشوق

قال ﷺ: والشوق ينقسم على ثلاثة أقسام: فقوم يشتاقون إلى الدنيا وما فيها، وقوم يشتاقون إلى الآخرة وما فيها من الحور والولدان والقصور، وقوم يشتاقون إلى الله تعالى أي: إلى مشاهدته في حضرة جماله القدسية.

فأما المشتاقون إلى الدنيا وما فيها: فهم المحجوبون بحجب الأكوان الظلمانية والمغرورون بشهواتها الحسية كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣].

وأما المشتاقون إلى الآخرة وما فيها: فهم الخواص ولقوله تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى:١٧]، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠].

وأما المشتاقون إلى الله تعالى: فهم خاص الخواص الذين تركوا الدنيا وما فيها والآخرة وما فيها وتوجهوا إلى الله تعالى بقلوبهم وركنوا إليه واعتمدوا عليه، فهو قصدهم ومطلبهم كما قال بعضهم:

ومـا مقـصودهم جنـات عـدن   ولا الحـور الحـسان ولا الخيـام

سـوى وجـه الحبيـب فهـو منـاهم   وهـذا مطلـب القـوم الكـرام

باب في تثليث الطالب

قال ﷺ: والطالب ينقسم على ثلاثة أقسام:

فأما القسم الأول: فهو طالب ملك وهي الشريعة فلا يتعداها.

وأما القسم الثاني: فهو طالب ملكوت وهي طريقة فلا يتعداها.

وأما القسم الثالث: فهو طالب لاهوت، وهي الحقيقة الواحدة وهو المستغرق فيها، فكل صاحب مقام من هؤلاء الثلاث لا يتعدى مقامه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:١٦٤].

قلت: فيجب على الطالب السائر إلى الله تعالى أن يتأدب مع إمام الشريعة ويعمل بآدابها وشروطها حتى يفتح الله عليه بالطريقة وهي باطن الشريعة، فيتأدب معها كما قال النبي ﷺ: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[1]، فيجب عليه أن يتأدب مع إمام الطريقة حتى يفتح الله تعالى عليه بالحقيقة، ومعنى ذلك أن لكل طالب سفر، ولكل سفر دليل يدله على طريقه، وقد قال في ذلك:

تنقلت من علم اليقين لعينه إلى حقه

فالعين فيها البدائع، ثم يجب عليه بعد ذلك أن يتأدب مع إمام الحقيقة وهو أن يكتم سر الله تعالى ولا يضع الحكمة إلا في أهلها كما قال النبي ﷺ: «**لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم**»[2] .

وأيضًا قال ﷺ: «**إفشاء سر الربوبية كفر**»[3]، فكل من أخل بشيء مما ذكرناه، فكان من المغرورين المحجوبين الهالكين الواقفين مع إحساس نفوسهم الذين لم ينشقوا أنفاس العارفين المحققين الوارثين لقدم سيد المرسلين ﷺ، **فأما الشريعة**: فهو ما يجب عليك فعله في دينك ومذهبك من الفرض باتباع السنة، **وأما الطريقة**: فهو ما استطعت عليه من قيامك واجتهادك في خدمتك لسيدك لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وأما الحقيقة: فهي محل السحق والمحق بأن لا تراك وجودًا ولا عملاً ولا فعلاً مع الله تعالى، ولقد قال ؓ: في معنى ذلك أبياتًا:

أما الشريعة فاتباع نبينا … أمر ونهي واقتدا بنبينا

وكذا الطريقة فهي كشف باطني … من الإله مع اجتهادك معلنا

وكذا الحقيقة من وجود شروطها … سحق ومحق مع فناء من فنا

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (١/ ٢٢٥)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٧٢).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠١)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص٢٩٥) بنحوه.
(٣) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/ ٣١٧) بنحوه.

ترقـــى إلى ســـفر الحقيقـــة معلنـــا خلــف الــدليل وأنــت منــه ممكنــا

قلت: ولقد حضرت الأستاذ ﷺ ذات يوم وهو يتكلم في هذا المعنى: فسأل سائل هل إذا أذن المؤذن إلى صلاة الظهر، ثم أقيمت الصلاة وصلى الظهر، فهل تصح صلاة العصر في ذلك الوقت قبل آذانه في وقته أما لا؟ فقال بعض العارفين: لا تصح صلاة قبل وقتها؛ لأن ذلك خلاف الشرع الشريف.

فأجاب ﷺ وقال: بل يصح في ذلك الوقت صلاة العصر قبل آذانه؛ لأن الظاهر دليل الباطن، والباطن عين الظاهر، والحقيقة عين الشريعة والشريعة عين الحقيقة، فقال السائل: يا سيدي فكيف حقيقة الصحة هنا؟ فقال ﷺ: تصح صلاة المسافر أن يقصر وأن يجمع بين الظهر والعصر في وقت أيهما شاء؛ لأن المقيم لا يجوز له الجمع، وإنما يجوز للمسافر وكذلك سفر الباطن للسائر في طريق الله تعالى، وإذا كان هذا السائر في الطريق إلى الله واقفًا عند رتبة من الرتب، أو مقام من المقامات، أو أمر من الأمور الظاهر أو الباطن فلا يصح له الجمع قط، وإذا كان في سفره سائرًا إلى الله تعالى، فلا يلتفت إلى شيء ولا يقف مع شيء؛ بل يجد في الطلب حتى يظفر بالمطلب، فهذا علامة السير والسفر كما قال ابن الفارض ﷺ:

وســافرت مــن علــم اليقــين لعينــه إلى حقــه حيــث الحقيقــة رحلتــي[1]

و ضرب علي ذلك مثل: شخص قصد السفر إلى البيت الحرام وهو لا يعرف له خبر ولا يعرف له طريق، فسأل عمن يرشده إلى بيت الله الحرام، فعرفوه بطريق الدليل، فقصد إليه واعلمه بأنه مسافر إلى بيت الله تعالى وطلب منه الإرشاد ومعرفة الطريق، وما يحتاج إليه إلى حين بلوغه في سفره، وكان دليل هنا هو المأذون كما قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج:٢٧]، وظاهرها يدله على باطنها، وكان هذا الدليل قد قطع البادية وعرف سهلها ووعرها، وظاهرها من باطنها، وأولها وآخرها، فلما حضر هذا المسافر إلى بين يدي الدليل واعلمه بقصده ومراده، وطلب منه أن يعلمه بما

(١) البيت لابن الفارض وروايته في الديوان:
أُسافِرُ عن عِلْمِ اليقينِ لِعَيْنِه إلى حقّه حيثُ الحقيقةُ رِحْلتي

يحتاج إليه في ذهابه وإيابه، فأجلسه الدليل بين يديه واعلمه بعقبات الطريق، وما يحتاج إليه من زاد وراحلة وعسر ويسر وظاهر وباطن، وقال له: إن كل ذلك مقدرة وقوة ونشاط في غرم فأغرم على السفر، واقصد إلى الكعبة الحقيقية، وإياك أن تقف عند وطن من الأوطان، أو عقبة من العقبات، فتحجب عن مطلبك إلى أن تبلغ أربك، واجمع صلاتك في سفرك، فإنها من الواجبات إلى حين بلوغك إلى ما تطلبه، وإن لم يكن لك مقدرة على هذا السفر وإلى قطع هذه البوادي والفيافي والوعار وإلا فأقم ببلدك ووطنك، وأقم الصلاة على ترتيبها، فإنه لا جمع للمقيم بل الجمع للمسافر، وفي ذلك أشار ابن عربي ﷺ بقوله:

وسر نحـــو سر الجمـــع تحـــظ بنظـــرة إليـــه بـــه مـــن حيـــث لا يتـــصور

فقال السائل: يا سيدي، فهل يجوز لهذا الدليل أن يسير مع هذا الطالب؟ فقال: لا حيث ما وصف له الطريق والمنازل، والمفاوز، والمنشط والمكره، فإن كان له عزم إلى السفر سافر إلى مطلبه وإلا فليقم، ومثال ذلك كالحليم الطبيب إذا عرف دواء المريض يصفه له لا يلذ به شربه، بل يلزم المريض شرب الدواء مع النية والتوكل، ومتى شك هذا المريض في دوائه الذي وصفه له الطبيب لا ينتفع من الدواء بشيء، وأيضًا كالمصلي إن شك في إمامه بطلت صلاته، بل يتعين صدق الدليل، والطبيب وذلك مع التوكل ومع النية، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣].

وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1]، رواه البخاري ومسلم -رضي الله عنهما- في صحيحيهما.

قلت: ولقد سُئل الأستاذ ﷺ عن قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[2]، هل هذا يطلق في حق أهل الطريق أم لا؟ فأجاب ﷺ وقال: نعم، يطلق في حق أهل

(١) رواه البخاري (١/ ٣)، وابن ماجة (٢/ ١٤١٣).
(٢) تقدم تخريجه.

الطريق لأن دخول المريد في الطريق إلى الله تعالى هجره، وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه»[١]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠]، فهذا مما يدل على السير إلى الله تعالى، فقال السائل: يا سيدي هل إذا هاجر الشخص من أرضه بإذن سيده إلى أرض أخرى خالصًا مخلصًا لله ورسوله، ولم يكن يعرف في تلك الأرض التي هاجر إليها أحدًا من خلق الله تعالى، فلما أن طلع إلى تلك الأرض فتعرف له منها إخوان ومريدون ومحبون وطالبون وصادقون، وتعرف الحق له في كل شيء، ثم بعد التعريف والثبات تزوج من تلك الأرض بإذن سيدي ثم سافر من تلك الأرض إلى أرض أخرى، فغاب قليلاً ثم رجع إلى إخوانه وزوجته ومحل إذنه ومهاجرته، فهل يكون رجوعه ثابتًا إلى أرض زوجته أم لا؟ ويكون مخلصًا لله لمجيئه الأول؟ فقال ﷺ: بل يكون رجوعه خالصًا لله تعالى؛ لأن النية سابقة للعمل لأنه خرج أولاً مهاجرًا إلى الله ورسوله خالصًا مخلصًا من غير قصد بنية بعيد، فلما أن حل أولاً في تلك الأرض تعرف له الحق ذلك التعريف من غير قصد له ولا مراد، فكان ذلك من نعمة الحق على عبده لأنه خرج في أوله متجردًا مغيرًا في الحول والقوة، فجازاه الحق من فضله على قدر صدقه ونيته ولم يكن ذلك في مراده، فأنعم الحق سبحانه وتعالى عليه من غير مراد، فإذا سافر ورجع، وكان لله تعالى لأن النية سابقة العمل، فما كانت نيته وهجرته إلا لله نال صالحًا، قال بعضهم:

ونلت مرادي فوق ما كنت راميًا ... فوا طربًا إن تم هذا ودام لي

باب في تثليث نظر العارف بالله تعالى

قال ﷺ: وكذلك العارف بالله تعالى المحقق الراسخ ينقسم نظره على ثلاثة أقسام: نظر علم اليقين وهي الشريعة، ونظر عين يقين وهي الطريقة، ونظر حق يقين وهي الحقيقة.

فالعارف بالله الراسخ الوارث القدم المحمدي لا بد له من تجليات هذه المراتب

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٠٥).

الثلاث، وكل مرتبة لها تجليات لا تنحصر، وكل حضرة من الحضرات لها تجليات جمال وتجليات جلال مما يناسبها، فليس الخبر كالعيان، **فأما أهل المحسوسات**: فهو ناظر إليهم بعلم اليقين وهم أهل الشريعة، **وأما أهل المعنى**: فهو ناظر لهم بعين اليقين وهم أهل الطريقة، **وأما أهل التوحيد**: فهو ناظر لهم بحق اليقين وهم أهل الحقيقة، فإن نظر العارف إلى الخلق بعين الشريعة وهو علم اليقين، فقد مقتهم لما يبرز منهم من المخالفات وتعديهم الحدود وظلمهم أنفسهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١]، فإن نظر إليهم بعين اليقين وهي الطريقة فقد عذرهم، فإنه مطلع لما يبرز منهم في باطن الأمر، قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤]، وإن نظر إليهم بحق اليقين وهي الحقيقة، فقد أمحاهم كما قال النبي ﷺ: «كان الله ولا شيء معه، والآن هو على ما عليه كان»(١)، فكل عارف بالله تعالى وارث لقدم رسول الله ﷺ لا بد له من هذه التجليات الذي تقدم ذكرهم، والتجليات كثيرون فإذا كان العارف ناظرًا إليهم بعلم اليقين، فكان مخاطبًا لتلك الطائفة بما يناسب حالهم من علم اليقين ولا يكون ذلك خلل في شهوده، وإذا كان ناظرًا إليهم بعين اليقين عذرهم وسلم أمرهم لرب العالمين، وإذا كان ناظرًا إليهم بحق اليقين فغاب عنهم واحتسب بسيد المرسلين، ولا يكون ذلك خلل في شهوده ولا نقص ولا توهم ولا تخيل من التجليات الظاهرة والباطنة، فإذا كان هذا العارف ناظر بما ذكرناه، فكان هو العارف المحقق الراسخ، وكان مخاطب لكل طائفة بما يناسبها من شريعة وطريقة وحقيقة إلى غير ذلك، كما قال النبي ﷺ: «**أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم**»(٢) فلم يكن ذلك خلل من رسول الله ﷺ ولا نقص في عقله، وإنما كان له إقامة المراتب وحقيقة المآرب؛ لأنه عين ذاته الأزلية وصاحب حضرته القدسية ورتبته العلية وجامع جمع حقيقته المحمدية ﷺ، وكذلك العارف بالله تعالى مخاطب كل طائفة بما يناسبها، ومورد كل فرقة لمشربها، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:٦٠]، ولكل مشرب نصيب وبصيرة، وكل بصيرة لها خض كاللبن والزبد، فالزبد لا يطلع من اللبن إلا بعد خضه، والخض هو البيان،

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٢٨٩).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/ ٣٧٨)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٢٦).

والبيان هو الثبات في الأمور، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦]، فكل من أتى بنبأ من هذه الطائفة من غير بيان، فهو فاسق حتى يتبين الخبيث من الطيب، وقال بعضهم: ما كان معجزة لنبي كانت كرامة لولي، فكل ولي من الأولياء على قدم نبي من الأنبياء، فيكون ذلك الولي وارثًا لقدم ذلك النبي، فكل ولي كان وارثًا لقدم من الأقدام المعلومة فكان ناظرًا بعين صاحب ذلك القدم، وكان حينئذ متحركًا بحركاته ناطقًا بنطقه فاعلاً بفعله، شاهد الشهود وزاهد الزهد، فكل من أخل بشيء مما ذكرناه من إرث صاحب ذلك القدم فكان ذلك الخلل حجاب بينه وبين صاحب تلك القدم، فإن هو أخل بشيء كما ذكرنا، فليرجع إلى المجاهدة حتى يتصف بما وصف، فإن المجاهدة تورث الهداية والمشاهدة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، وقال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾ [القيامة:١٤].

فيجب عليك أيها الطالب أنك لا تدعي في هذه الطريقة بما ليس هو فيك، ولا تزكي نفسك بما هو فيك، والتزكية لا تكون بقول ولا بعمل ولا بفعل كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢]، فإن الدعوى تطفئ نور الوجه، وتزكية النفس من المهلكات، قال ﷺ:

وإياك إياك الدعاوى فإنها ... تنقص مقدار الفتى وتذله
ونفسك أيضًا لا تُزَكِّ فعالها ... وجانبها واردد قولها محله
ولازم لأهل الخير تَرْقَ إلى العلا ... وكن زاجرًا للنفس عمرك كله

والحذر ثم الحذر أيها الطالب اتصالك أن تنظر في مرآة غيرك، بل النظر في مرآة نفسك، فمن نظر وتحقق في مرآة نفسه فكان عارفًا بربه قال ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1]، فيجب على الطالب السالك المجتهد أن يدخل من العلم الطريقة، ويدخل من الطريقة إلى الحقيقة، ولكل علم من العلوم أدب يتأدب به الطالب حتى يتوصل منه إلى

---

(١) تقدم تخريجه.

غيره، فإن العلم الذي يدخل منه أولاً هو علم اليقين وهي الشريعة المطهرة الزكية المرضية، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:١٨٩]، فلا يتوصل الإنسان إلى الطريقة إلا من الشريعة، ولا يتوصل إلى الحقيقة إلا من الطريقة، فيجوز لكل مأموم أن يتأدب مع إمامه، فإن أخل المأموم في إمامه بشيء، فكان خلل في صلاته واتصاله به، ويجب على كل إمام أن يثبت في وراثته لا يتعداها من علم اليقين إلى عين يقين إلى غير ذلك إلا بعد كشف حقيقي واطلاع إلهي.

وقال ﷺ: فمن استشرف على هذا المقام وهو مقام أهل الغايات الذي لا يدرك مقامهم البارز لأعيانهم بخبر الذين شهدوا أحدية العين في جميع الضدين، وشهدوا الواحد قائمًا بالاثنين فتنقسم أحوالهم على وجهين في شهود وحدة العين التي هي قائمة بالضدين، كما قال بعضهم:

قال لي حسن كل شيء تجلى لي تمامه

فقد يقع التجلي لأصحاب هذا المشهد تارة من حيث الظاهر وتارة من حيث الباطن، والباطن قد يوافق الظاهر وقد لا يوافقه كما قال بعضهم:

نزلنا بوادٍ عنده اسمه الغطاء

فأما التجلي والكشف، هو كشف الغطاء، قال الله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢]، ومن تعدى ذلك بغير غطاء كشف وهو الاطلاع الحقيقي، فيخشى عليه من الهلاك نعوذ بالله من ذلك ومن دخل من غير الباب لم يكن من أولي الألباب، قال ﷺ:

وأتي إلى كل البيوت بأسرها من ابوابها فالعز فيها بفخرة

فأبوابها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، فكلما فتح الله تعالى عليك بباب من الأبواب وصلت منه إلى ما هو أعلى منه، وذلك بعد مجاهدتك في الله تعالى [كما قال سبحانه

وتعالى: «**وما زال يتقرب عبدي]**[1] **إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا، فبي يسمع وبي يبصر**»[2] وكما أنَّا نقول: اسم ومسمى ومعنى، فالاسم دال على المسمى، والمسمى دال على المعنى، والمعنى هو أن يشهد أن الله وحده.

باب في تثليث العباد

قال ﷺ: والعباد تنقسم على ثلاثة أقسام عابد اسم، وعابد مسمى، وعابد معنى.

فمن عبد الاسم فقد كفر بالمسمى، ومن عبد المسمى فقد أشرك بالمعنى، ومن عبد المعنى فقد استغنى لقوله تعالى: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٧]، والرؤيا لا تكون إلا عن موت معنوي عند السادة المحققين، أهل المعاني والفنون والمحبة والشجون، قال النبيﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا»[3]، قلت في معنى ذلك:

فــما مــوت الفتــى إلا حيــاة فنــاء في بقــاء في اتــصال
وســحق ثــم محــق ثــم حــق كــمال في كــمال في كــمال

باب في تثليث الموت[4]

---

(١) ما بين الـ[..] وقفه كاتبه ثم وصله بعده، وما أثبتناه ضرورة لتمام السياق.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٨٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) الموت عند أكثر الطائفة هو عبارة عن انقطاع اللطيفة الروحانية المسماة بالروح الإلهي، وبالنفس الناطقة عن الاشتغال بالملاذ البدنية لإقبالها على حضرات القرب من الجناب الأقدس، وفي هذا الموت حياتها المشار إلى ذلك بقول أفلوطين: «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة».

وقد يعنى بالموت مقام المحبة، كما قال صاحب «نظم السلوك»: هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل - إلى قوله: ـ فاختر لنفسك ما يحلو- وقوله:

هُوَ الحبُّ إن لم تَقْضِ بالحبِّ مأرَباً مِنَ الحبِّ فاخْتَرْ ذاكَ أو خَلِّ خِلَّتِي

وقال سيدي جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما: «الموت هو التوبة»، قال تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، فمن تاب فقد قتل نفسه.

واعلم أن للصوفية أوصافاً، يعبرون عنها بالموت الأبيض والأخضر والأسود والأحمر، ولكل من هذه الموتات الأربع حياة تخصه، كما أذكره إن شاء الله تعالى.

قال ﷺ: والموت ينقسم على ثلاثة أقسام: قسم ظاهر حسي، وقسم باطن معنوي، وقسم حقيقي، فأما القسم الظاهر الحسي: فهو مشترك بين الخاص والعام وهو الانتقال من دار الدنيا إلى دار الآخرة لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وأما القسم المعنوي: فهو موت الخواص الذين ماتت نفوسهم وحسوسهم، وفنوا في الله، وتنقلوا من الأطوار الحسية إلى الأطوار المعنوية الباطنية، وأما القسم الثالث وهو موت الموت الحقيقي فهو لخاص الخواص، فهذا لا يخبر عنه بخبر ولا يدرك له أثر، فمن مات في الله حيي في الله، قلت في ذلك:

ومـــــت في الله تلـــــق الله حقًّـــــا بعـــين الحـــق في حـــق الحقـــائق

=

الموت الأبيض: يعنون به الجوع، فإذا كان السالك ممن لا يعرف الشبع، بل لا يزال جائعاً، فقد مات الموت الأبيض، وتحيا فطنته إذ كانت البطنة تميت الفطنة. فإذا ماتت بطنته حيت فطنته.

الموت الأخضر: هو لبس المرقع، وهو أن يقتصر على ما يستر العورة مما لا قيمة له، ولما لم يكن كذلك إلا الخرق الملقاة على المزابل اقتصر صاحب هذا المقام من لباسه على ما يجمعه منها، ويغسله لتصح صلاته فيه. فمن اقتصر في لباسه على هذا القدر، فقد مات الموت الأخضر، ويحيى بجماله الدارين المستغني عن التجمل العرضي.

قال عليٌّ كرَّم الله وجهه في وصيته لابنه الحسين رضي الله عنهما: «واعلم يا بني إنه لا يكمل المرء مروءته حتى لا يبالي أي طعاميه أكل، ولا أي لباسيه لبس».

الموت الأسود: هو احتمال أذى الخلق، فإذا تحقق السالك بالمقام الذي يصير فيه، بحيث لا يجد في نفسه حرجاً مما يناله من أذى الناس، وسبهم، وشتمهم، وغير ذلك، فقد مات الموت الأسود، ويحيا بالإمداد من حضرة الجواد، لأنه يصير ممن قد شاهد النعم الباطنة عن غيره حين صارت في حقه ظاهرة، لا يرى صدور الكل إلا من محبوبه.

الموت الأحمر: هو مخالفة الهوى، وهذا هو الموت الجامع باقي الموتات كلها، وإليه الإشارة بقوله ﷺ لما كان يرجع من قتال الكفار: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، قالوا: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: «مخالفة النفس».

وفي حديث آخر: «والمجاهد من جاهد نفسه» قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا فِينَا﴾.

فمن مات عن هواه فقد حيا بهداه من موت الضلالة وبمعرفته من موت الجهل.

الموت الجامع: هو مخالفة النفس لحظوظها كما عرفت، وفهمت سبب كونه جامعاً من أن باقي الموتات لا تتحقق بدونه.

فهــا أنــت الحقيقــة أنــت عــين وهــا أنــت المعــارف والــدقائق

باب في تثليث البقاء

قالﷺ: والبقاء ينقسم على ثلاثة أقسام: بقاء العوام، وبقاء الخواص، وبقاء أخص الخواص، **فأما بقاء العوام**: فهو بقاؤهم مع نفوسهم وحسوسهم البشرية والشهوات النفسانية، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣].

وأما بقاء الخواص: الذين قتلوا أنفسهم في محبة الله وفنوا في الله، فأحياهم الله ببقاء الله لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، **وأما بقاء أخص الخواص**: فذاك لا يخبر عنه بلسان ولا يدرك بعيان، قلت:

فنيــت في الله إبقــائي بــه أبــدًا فهــو البقــاء لــه لكــنّ إبقــائي

لمــا فنيــت بــه أحيــا الوجــود بــه وقــد تحققتــه في حــق إبقــائي

هــو الهويــة في إبقــاء موجــده لمــا تيقنتــه في حــسن إبقــائي

باب في تثليث المجاهدة

قالﷺ: والمجاهدة تنقسم على ثلاثة أقسام: مجاهدة شرعية، ومجاهدة قلبية، ومجاهدة حقيقية، **فأما المجاهدة الشرعية**: فهي على الأعضاء والجوارح، قلت:

وجاهــدوا في الله حــق الجهــاد وقــدموا الــزاد ليــوم المعــاد

تلقــوا جنانــا قــد اعــدت لكــم وطيــب عــيش مــع صــافي الــوداد

والحــور والولــدان قــد زينــت في جنــة الخلــد ودار الرشــاد

وأما المجاهدة القلبية: فهي لأرباب الكشف والنظر بعين البصيرة، وهي الفراسة المعنوية لقوله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[1].

وأما المجاهدة الحقيقية: فهي شهود المراتب من غير تعطيل لها في كل ذرة قائمين بها

(١) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٢٩٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٣١٢).

أهل الحقائق، قلت في ذلك:

جاهــدت شــاهدت الوجــود بــه مراتــب الكــون تجــلى في حقيقتــه
مــن غــير كيــف ولا أيــن ولا مثــل ولا نظــير ولا شــبه بهيئتــه
فهــي الحقيقــة تبــدو في حقائقهــا أقامهــا ربــه فــازت برؤيتــه

باب في تثليث الجنان

قال: والجنان تنقسم على ثلاثة أقسام: اثنين من ذلك الثلاث دنيوية، وأما الجنة الثالثة فهي أخروية، فأما الاثنين الدنيوية فواحدة منهم حسية، وأما الثانية فهي معنوية، فأما الحسية: فهي الدنيا وهي سجن المؤمن وجنة الكافر قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[1].

وأما الجنة المعنوية: فهي علم التوحيد للعارفين بالله تعالى في هذه الدار.

قال في ذلك:

واصــلتني وهجرتنــي فحرقتنــي بالنــار فــارحم عبــدك المتواضــع
لمــا رأى صــدقي وحــسن تــصبري في حبــه حقًّــا ولم أك جــازع
أنعــم عــليَّ بوصــله وبلطفــه ورحــم فــؤادي وهــو منِّــي ســامع
وتوحــدت آحادنــا بــصفاتنا في ذاتنــا وتــول مــا هــو قــاطع
في جنــة التوحيــد نلــت معارفًــا فيهــا وأني في المعــارف بــارع
ومــشاهدًا وحقائقًــا ودقائقًــا ورقائقًــا ومراتبًــا ومطــالع
جنــات عــدن العــارفين حقيقــة توحيــدهم والحــق فيــه واقــع
نــالوا مقامًــا في الحقيقــة زاكيًــا يعلــو مقامــات الــورى ويطــالع

وأما الجنة الأخروية فهي التي أعدها الله لعباده المؤمنين في الدار الآخرة في قوله

(١) رواه مسلم(٤/ ٢٢٧٢)، وابن حبان (٢/ ٤٦٣).

تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢:٧٣].

باب في تثليث النار

قالﷺ: وكذلك النار تنقسم على ثلاثة أقسام: نار حسية، ونار معنوية، ونار حقيقية، فأما النار الحسية: فهي المذكورة في كتاب الله تعالى في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤].

وأما النار المعنوية: فهي نار الهجر، والجفاء وبُعد الوصال والوفاء، قلت:

وصـــالك جنتـــي وجفـــاك نـــاري وقربـــك فيـــه جمعـــي مـــن شـــتاتي

فـــلا تحـــرق فـــؤادًا يـــا حبيبـــي بنـــار جفـــاك يـــا عـــين الحيـــاةِ

ففـــي الهجـــر افـــتراق واحـــتراق وفي الوصـــل النعـــيم مـــع الثبـــاتِ

وأما نار الحقيقة: فهي الحجب الذي تحجب العبد عن الله تعالى، وهي الوقوف مع غير الله تعالى عند المحققين- رضي الله عنهم- قلت في ذلك:

النـــار والتفريـــق عنـــد أولي النهـــى فهـــي الحجـــاب عـــن الـــشهود الأكمـــل

وهـــي الوقـــوف عـــن اتـــصال جمالـــه مـــع غـــيره ومـــع الـــسوى المتعطـــل

لا يقطعنـــك عـــن شـــهودك قـــاطع إن رمـــت تحقيـــق الجـــمال الأفـــضل

لا يحجبنـــك عـــن حبيبـــك مظهـــر مـــن ظـــاهرٍ أو بـــاطنٍ متـــأول

فـــامح الـــسوى واشـــهد جمـــال كمالـــه ودع الوقـــوف مـــع الـــشَّواغل والخلـــل

فالإشـــتغال بغـــيره وســـوائه عـــين العـــذاب فـــلا تكـــن متعطـــل

إن رمتـــه فـــاترك ســـواه وكـــن بـــه متـــأهلا منـــه لـــه بتفـــضل

فهـــو النعـــيم وقربـــه لي جنـــة فيهـــا شـــهدت حقيقتـــي بتوصـــل

يـــا شـــاهدًا عـــين الحقـــائق لا تغـــب عـــن عينـــك العظمـــى وقـــل بتكمـــل

أنـا عبـدكم وذليلكم وفقيركم متمسك بجنابكم متوصل

باب في تثليث المجال

قال ﷺ: والمجال ينقسم على ثلاثة أقسام: مجال ملك، ومجال ملكوت، ومجال لاهوت.

فأما مجال الملك: فهم رجال أهل الشريعة.

وأما مجال الملكوت: فهم رجال الطريقة.

وأما مجال اللاهوت: فهم رجال الحقيقة.

قلت في ذلك: بين الرجال مجال، وهو ثبوت مجال ملك وملكوت ولاهوت، وكل مجال من هؤلاء له مشربه، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:٦٠]، والمشرب بمعنى الذوق، قيل في المعنى:

فهـذا ذوقـه مِلـحٌ أُجَـاج وهـذا ذوقـه عـذب فـرات

وهـذا ذوقـه خمـر عقـار وكـل منهمُ فيـه الثبـات

عطايـا الحـق لـيس لهـا حـدود ولكـن في حقيقتـه هبـات

باب في تثليث الطهارة

قال ﷺ: والطهارة تنقسم على ثلاثة أقسام: طهارة حسية، وطهارة معنوية، وطهارة حقيقية، فأما الطهارة الحسية: فيشترك فيها العام والخاص وخاص الخاص، وهي محل الزوجية وهو التلذذ بالنكاح وهي جارية في العام والخاص وخاص الخاص، فالمتزوج له الطهارة من الجماع وهو الاغتسال من الجنابة، وكذلك ولو كان عازبًا، واحتلم في عالم الرؤيا، فله الطهر من الجنابة.

وأما الطهارة المعنوية: فهي طهارة الخاص، وهي طهارة القلوب بمحبة علام الغيوب، وهي أن يتجرد بقلبه عن الدنيا بمحبة الله تعالى، وعدم محبة الدنيا فإنهما لا يجتمعان في قلب، قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾

[الأحزاب:٤]، وقال بعضهم:

وطهر بذكر الله قلبك من .... السر للنفس فالذكر أكبر

قلت:

طهر القلب إلى الله تجد كل خير وسرور واتصال

واخلص النية واعمل صالحًا تَلْقَ عزًّا في نهايات الكمال

وأما الطهارة الحقيقية: فهي طهارة خاص الخواص وهو أن ينحرف عن الدنيا وما فيها، وعن الآخرة وما فيها وأن يطهر قلبه مما سوى الله تعالى، فهذه هي الطهارة الحقيقية عند أهل التحقيق.

وقلت:

وطهرت قلبي من سوى الحق خالصًا من الشرك والأغيار من كل نسبة

وإني إليه منه له فيه نسبة وما هو إلا الحق في كل ذرة

تجده حقيقًا واحدًا في حقائق الـ حقائق لا شبه ولا ثنوية

باب في تثليث الصلاة

قال ﷺ: والصلاة تنقسم على ثلاثة أقسام:

صلاة عليه: وهي واجبة على كل مسلم مؤمن بالله وبرسوله، وهي واجبة على العام والخاص وخاص الخاص، وهي ما فرضه الله تعالى من الصلوات الخمس على عباده المؤمنين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣]، **وأما الصلاة المعنوية:** فهي للخواص وهي على الروحانية، وهي مراقبة المشاهدة الأزلية التي يحصل الاتصال بها في الحضرة المحمدية، قال ﷺ:

صَلاتي صِلاتي واتصالي وقربتي مراقبتي حتى اتصلت بمن أهوى

مشاهدتي في حضرة الحب قربه فيا حب هذا الاتصال مع النجوى

وصلني وواصلني بوصل اتصاله   وغيّبني فيه وزالت به البلوى

وأما الصلاة الحقيقية: فهي لخاص الخواص وهي صلة العبد لربه بالحقائق الربانية لقوله ﷺ في حديث قدسي عن الله تعالى: «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا في وبي يبصر**»[1]... إلى آخره، قال ﷺ في ذلك:

صلاة العارفين هي اتصال   وقرب في الحقيقة واتحاد

وتحقيق على قرب التداني   ووصلاً شاملاً بعد البعاد

باب في تثليث الزكاة

قال ﷺ: والزكاة تنقسم على ثلاثة أقسام:

زكاة حسية: وهي على العام والخاص وخاص الخاص، وهي ما فرضه الله تعالى على عباده المؤمنين من زكاة المال والفطر وغير ذلك كما قال الله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ**﴾ [المزمل:٢٠].

وأما الزكاة المعنوية: فهي للخواص وهي زكاة النفوس، وهي التجرد عن المقامات الدنيوية والتخلق بالأخلاق المعنوية، وتزكى النفوس من الإحساس البشرية قال ﷺ:

نفوس زكت لما وفت وتعبدت   بصدق وإن الله زكى فعالها

به أخلصت عن كل ما هو كائن   فوفى لها المولى حقيق منالها

زكت ونمت لما تزكت بها له   فنالت مناها بعد ذا ونوالها

باب الزكاة الحقيقية: فهي زكاة خاص الخواص، وهو التجريد عن المقامات الدنيوية والأخروية، والاتصال بالحقائق الربانية الأزلية، والاتصال بالحضرة الصمدية الواحدية قال ﷺ:

زكيت بالنفس والدنيا وغرتها   وما سوى الله وهو المركز الباقي

(١) تقدم تخريجه.

فمطلبي ومرادي واحد صمد　　فرد محيط بأنفاسي وأشواقي

خرجت عن كل موجود وفزت به　　فالقصد هو وبه هذبت أخلاقي

باب في تثليث الصوم(١)

قال ﷺ: والصوم ينقسم على ثلاثة أقسام:

صوم عام: وهو للعام والخاص وخاص الخاص كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]، وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، وهو ما فرضه الله على عباده المؤمنين، وأما الصيام المعنوي: فهو صيام الخواص وهو الخروج عن الدنيا وما فيها بالزهد والورع والتقوى، قلت موال:

الصوم يعني بأن تخرج عن الأوطان　　وعن مرادك وما في سائر الأكوان

وتطلب الحق في سرك وفي الإعلان　　تلقى جنان الرضا والحور والولدان

---

(١) صوم العامة: ويقال: صوم أهل الشريعة، ويعني به الصوم المشروع الذي هو عبارة عن صون البطن والفرج عن قضاء الشهوة المباحة تقرّباً إلى الله بامتثال أمره بذلك في أيام رمضان، وأوقات النذر، وما يشبه ذلك من صوم الواجب وغيره.

صوم الخاصة: ويقال: صوم أهل الطريقة، ويراد به صون البطن والفرج، بل جميع الجوارح من سمع وبصر ويد ولسان ورجل، عن التصرف في شيء من الآثام.

صوم خاصة الخاصة: ويقال: صوم أهل الحقيقة، ويراد به: صون القلب عن الهمة الدنية والأفكار الدنيوية.

صوم خلاصة خاصة الخاصة، ويقال: صوم أهل الحق، ويعنى به: صون القلب عن طلب عوض عما ترك للحق، أو عن غرض من الحق سبحانه، لاشتغال القلب به عما سواه من طلب الجزاء في الدنيا والآخرة. صوم الشريعة: هو الصوم المشروع. صوم الطريقة: هو صون النفس عن المعاصي.

صوم الحقيقة: هو صيانة الباطن عن خواطر السوى، كما صينت الأعضاء عن اقتراف المعاصي، كما عرفت. صوم أهل الحق تعالى: هو صون السر عما سوى الحق كائناً ما كان. [لطائف القاشاني].

وأما الصيام الحقيقي: فهو صيام خاص الخواص وهو صيامهم عن الدنيا والآخرة وما فيها وعن كل ما سوى الله تعالى، قال ﷺ:

أصوم به عني وعن رؤية السوى فأشهده في كل روع تجلت

وقال ﷺ:

لقد صمت عما كان أو هو كائن صيام حقيقي به كان تحقيقي

فلا فطر إلا في حظيرة قدسه وذاك هو المطلوب في عين تدقيقي

به الصوم والإفطار والسُّكر والمحبة نشوتي من قبل قبلي وتمكيني

باب في تثليث الحج

قال ﷺ: والحج ينقسم على ثلاثة أقسام:

حج ظاهر: وهو للعام والخاص وخاص الخاص، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧].

وأما الحج المعنوي: فهو للخواص وهو الحج إلى كعبة الأسرار عند أهل الباطن، قال ﷺ:

حججت إلى ذات الجمال وإنما أنا كعبة الأسرار في ألف حجة[1]

وأما الحج الحقيقي: فهو لخاص الخواص لأهل التحقيق والأسرار والتدقيق ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة آمين، قال ﷺ:

أحج إلى الحقيقة باجتهاد وأشهدها بها تجلى عليا

حقيقة ذاتها ليست بوصف وفي عرفانها كشفا جليّا

---

(١) قال الشيخ إسماعيل الولي ﷺ:

أنا كعبة الأسرار من قد تطوف بي جميع أولي العرفان أهل الولاية

حججـــت بهـــا إليهـــا في وجـــودي　　فـــشاهدت الجـــمال بهـــا مليّـــا

باب في تثليث العمل

قال ﷺ: والعمل ينقسم على ثلاثة أقسام: عمل حسي، وعمل معنوي، وعمل حقيقي، فأما العمل الحسي: فهو للعوام وهو على الجوارح قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧:٨]، وأما العمل المعنوي: فهو للخواص وهو للقلوب، قال ﷺ:

توجهـــت لله الـــذي جـــل ذكـــره　　بـــإخلاص تحقيـــق بقلبـــي وقـــالبي

وأرجـــو رضـــاه فهـــو غايـــة مطلبـــي　　وذاك منـــائي في الـــورى ومـــآربي

عـــسى رحمـــة تـــأتي مـــن الله بغتـــة　　توســـع أمـــالي وضـــيق مـــذاهبي

وأما العمل الحقيقي: فهو لخاص الخواص وهي تجليات الغيوب، **فأما عمل العوام:** فهو للمرجأ والثواب.

وأما عمل الخواص: فهو لا للمرجأ ولا للثواب بل لله خاصة خالصًا مخلصًا لوجهه الكريم.

قال بعضهم: ما عبدتك خوفًا من نارك ولا رغبةً في جنتك بل لوجهك الكريم.

وأما عمل خاص الخواص: فهم الذين فنوا في الله فتحققوا بحقائق الله وهم المشاهدون في الله بالله في غير كيف ولا أين، فجل ربنا عن الكيف والأين، قال ﷺ:

عبدتك مـا أرجـو سـوى أنـت سـيدي　　فإنـــك مطلـــوبي وأنـــت حقيقتـــي

وشـــاهدت بي منِّـــي إلي مـــشاهدًا　　تفـــوق الثريـــا والثـــرى منـــذ نـــشأتي

وحققتنـــي عينـــي وأينـــي حقيقـــة　　فوجهـــت وجهـــي في حقيقـــة وجهتـــي

ثم قال:

وعـــاينتني عـــين الوجـــود بعينـــه　　فـــما أنـــا إلا واحـــد عـــين كثـــرة

عبــدت أنــا منــي وكــلي عبــادتي فــشاهدت تحقيقــي بعينــي ووحــدتِي
وقــد كنــت بي منــي ولا أيــن بيننــا فــإني هــو بــل هــو أنــا وهــويتي
بــصرت بــه لمــا نظــرت بنــاظري وأبــصرت توحيــدي بعــين بــصيرتي
هويــــة ذاتي في صـــــفاتي توحــــدت وقامــت بهــا في الكائنــات حقيقتــي

باب في تثليث الرجاء

قال ﷺ: والرجاء ينقسم على ثلاثة أقسام: رجاء حسي وهو للعوام، ورجاء معنوي وهو الخواص، ورجاء حقيقي وهو لخاص الخواص.

فأما رجاء العوام: فهو رجاء الثواب، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٥]، **وأما رجاء الخواص:** وهم أهل الطريقة وهم الراحلين عن الدنيا وما فيها ويرجو الآخرة وما فيها، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وأما رجاء خاص الخواص: فهو رجاء أهل الحقيقة وهو رجاء الإباحة أي: إباحة المشاهدة لله بالله من غير كيف ولا أين، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

قلت:

وأرجــوك لا أرتجــي إلاك يــا أمــلي في كــل دهــري وأوقــاتي وســاعاتي
أنــت الرجــا وإليــك الملتجــا أبــدًا وعمــدتي أنــت جمعــي بعــد أشــتاتي
أنـــت المكـــون للأشـــيا وموجـــدها وجــامع الكــل والمــاضي مــع الآتي
أرجــوك ذخــري غــدًا في كــل كائنــة فأنـــت نفعـــي وتحقيقـــي وإثبـــاتي

باب في تثليث الخوف

قال ﷺ: والخوف ينقسم على ثلاثة أقسام: خوف حسي، وخوف معنوي، وخوف حقيقي، فأما الخوف الحسي: فهو للعوام فيخافون من النار والعذاب، قال الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان:٧].

وأما الخوف المعنوي: فهو للخواص وخوفهم من الهفوات والغفلات والخطرات.

وأما الخوف الحقيقي: فهو لخاص الخواص وخوفهم من الله تعالى في كل نَفس من الأنفاس، قال ﷺ: «أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفًا»[1]، قال ﷺ في معنى ذلك:

يخافون قوم من عذاب جهنم ... ومن حر نار جمرها يتوقدُ
ويرجون جنات بها كل نعمة ... وفاكهة أبًّا وحور تجدّدُ
وقوم يخافوا هفوة في مسيرهم ... كذا خطرة أو غفلة تترددُ
ويرجوا مقامًا زاكيًا في سنا العلا ... بسير زكي معنوي مؤيدُ
وقوم يخافوا الله في كل لحظة ... وفي نفسهم أو طرف عين يرددُ
ويرجون مولاهم هو القصد عندهم ... هو المركز الأسنى به يتوحدوا
فتلك صفات القوم إن كنت سائرًا ... إلى الله فاطلب ما له أنت تقصدُ
وإلا فدع عنك المقام وعد إلى ... تمسك قوم في الحقيقة يلحدوا

باب في تثليث الجمال[2]

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٣١) بنحوه.

(٢) قال الشيخ القاشاني: أما الجمال: فهو معنى يرجع منه إلينا، وهو الذي أعطاه هذه المعرفة التي عندنا، والتنزلات والمشاهدات والأحوال، وله فينا أمران الهيبة والأنس. وذلك لأن لهذا الجمال دنواً وعلواً. فالعلو نسميه: جلال الجمال وفيه يتكلم العارفون وهو الذي يتجلى لهم، ويتخيلون أنهم يتكلمون في الجلال الأول الذي ذكرناه. وهذا جلال الجمال قد اقترن معه منا الأنس والجمال الذي هو الدنو قد اقترن معه منا الهيبة. فإذا تجلى لنا جلال الجمال أنسنا، ولولا ذلك لهلكنا. فإن الجلال

قال ﷺ: والجمال ينقسم على ثلاثة أقسام: جمال حسي، وجمال معنوي، وجمال حقيقي، **فأما معرفة الجمال في الحس**: فهو شهود العوام المحجوبين بأنفسهم، فإنهم شهدوه في كل صورة حسنًا وقيدوه في تلك الصورة ولمصوره فيها، فهم في حجاب نفوسهم بشهودهم إلى الحس، قال ﷺ:

شهدوا الجمال بصورة حسية   فتحجبوا عن كل معنى بيّنا

لكن نفوس حجّبت فتحجبت   عن باطن المعنى ولم تتمكنا

لا تحتجب عن سير قوم أطلقوا   فيه الشهود وفيه قد نالوا الهنا

وأما معرفة الجمال في المعنى: فهو شهود أهل المعنى الذين شهدوا في كل معنى ومبنى وأطلقوه في كل شيء لا حصروه، وغابوا عن المبنى بالمعنى ولم يتقيدوا في شهودهم مع المبنى، وهي الجمال الحسي قال ﷺ:

اشهد جمالاً معنويًا قائمًا   في كل معنى لا تكن متوقفا

ودع النفوس مع المحسوس وسر إلى   عين الطريقة تلق ما هو ألطفا

تظفر بعين الحق في تحقيقه   وترى جمالاً كاملاً فيه وفا

=

والهيبة لا يبقى لسلطانها شيء، فيقابل ذلك الجلال منه بالأنس منا لنكون في المجاهدة على الاعتدال حتى نعقل ما نرى ولا نذهل، وإذا تجلى لنا الجمال هبنا، فإن الجمال مباسطة الحق لنا، والجلال عزته عنا، فنقابل بسطه معنا في جماله بهيبته، فإن البسط يؤدي إلى سوء الأدب، وسوء الأدب في الحضرة سبب الطرد والبعد، ولهذا قال بعض المحققين ممن عرف هذا المعنى: اقعد على البساط، وإياك والانبساط، فإن جلاله في أنسنا يمنعنا في الحضرة من سوء الأدب».

قال الشيخ: «فكشفُ أصحابنا صحيح، وحكمهم بأن الجلال يقبضهم، والجمال يبسطهم غلط، وإذا كان الكشف صحيحاً فلا نبالي، فهذا هو الجلال والجمال كما تعطيه الحقائق».

قال الشيخ: «وما من آية في كتاب الله، ولا كلمة في الوجود إلا ولها ثلاثة أوجه: جلال، وجمال، وكمال، فكمالها معرفة ذاتها، وعلة وجودها، وغاية مالها، وجلالها وجمالها معرفة توجهها على من تتوجه عليه بالهيبة والأنس، والقبض والبسط، والخوف والرجاء، لكل صنف شرب معلوم».

تلقى الصفا وترى الخفا بعد الجفا   وتعش سعيدًا بعد ذاك وقد كفى

وأما معرفة الجمال الحقيقي: فهو لأهل التحقيق والتدقيق الذين عرفوه وشاهدوه في كل مبنى ومعنى وحققوه في كل ذرة ولا أنكروه، قال سيدي محيي الدين بن عربي في ذلك:

شهدتك في كل المظاهر واحدًا   ولو كثرت منك الصُّفا والتعددُ

وما هي إلا الروح لما تكونت   أقامت بها الأشباح والكل واحدُ

قال ﷺ في ذلك:

شهدوا جمالاً ساترًا في كل ما هو بين   فرد توحد في الورى بمعارف مُتعين

بشريعة وطريقة وحقيقة متمكن   عين الجمال بدا بها متوحد مُتلون

فالحق في تلوينه يظهر بما هو أحسن   وتوحدت آحاده في عين ما هو أمكن

إن كنت هو فارجع له تبقى بقاءً ممكن   يا شاهدًا عين الجمال على الحقيقة مُعلن

ثبت شهودك تلقه ها أنت هو متمكن   لا تحصرن جماله في الكون فهو مُعين

باب في تثليث الجلال(١)

قال ﷺ: والجلال ينقسم على ثلاثة أقسام: قسم حسي: وهو ناشئ عن النفس وهي الرعونة.

---

(١) الجلال: قال الشيخ في كتابه المسمى بكتاب «الجلال والجمال»: «اعلم أن الجلال والجمال مما اعتنى بهما المحققون العالمون بالله من أهل التصوف، وكل واحد نطق فيهما بما يرجع إلى حاله، فإن أكثرهم جعلوا الأنس بالجمال مربوطاً، والهيبة بالجلال منوطاً، وليس الأمر كما قالوه.
وهو أيضاً كما قالوه بوجه ما، وذلك أن الجلال والجمال وصفان لله تعالى والهيبة والأنس وصفان للإنسان، فإذا شاهدت حقائق العارفين الجلال هابته وانقبضت، وإذا شاهدت الجمال أنست وانبسطت، فجعلوا الجلال للقهر، والجمال للرحمة، وحكموا في ذلك بما وجدوه في أنفسهم».
قال الشيخ قدس الله سره: «وأريد، إن شاء الله، أن أبين هاتين الحقيقتين على قدر ما يساعدني الله به في العبارة فأقول: إن الجلال لله معنى يرجع منه إليه، وهو الذي منعنا من المعرفة به تعالى، إذ ليس لمخلوق في معرفة الجلال المطلق مدخل ولا شهود انفرد الحق به وهو الحضرة التي يرى الحق فيها بما هو عليه، فلو كان لنا مدخل فيه لاحظنا علماً بالله، وبما عنده، وذلك محال.

وجلال معنوي: وهو ناشئ عن الطريقة كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ حين نظر إلى الشمس بعين الجلال فاسودت.

وجلال حقيقي: وهو ناشئ عن الحضرة الإلهية، **فأما الجلال الحسي**: هو ناشئ عن النفس والرعونة فهو كالدخان يصعد بصاحبه ثم يهبط إلى أسفل السافلين.

قال ﷺ:

دع النفس واترك ما بدا من جلالها　وما تشتهيه في الورى من جمالها

فلا خير في شهواتها ومرادها　فعلم فتى يرديه سوء فعالها

فإن جلال النفس يتعب خسة　إلى المرء إن لم ينتهي عن محالها

وكن زاجرًا للنفس تلقى مسرة　وخيرًا كثيرًا ثم تُعطى منالها

وأما الجلال المعنوي: هو الذي يرفع صاحبه إلى أعلى عليين، **وأما الجلال الحقيقي** الذي هو ناشئ عن الحضرة الإلهية والحقائق المحمدية، فهو يكمل صاحبه بحق اليقين قال ﷺ في ذلك:

جلال معنوي فهو عين　به تهدى إلى عين اليقين

يرثنا كل تمكين وحق　ويرشدنا إلى نور مبين

وبعد تثبتي لجلال عيني　جلال الحق في حق يقين

به سدنا وشدنا في المعالي　وصرنا ثم صرنا كل حين

إلى حق اليقين به شهدنا　جلال الحق في حق مبين

فمن شهد الجلال كمال حق　فقد محق السوى في كل عين

باب في تثليث الوسعة

قال ﷺ: والوسعة تنقسم على ثلاثة أقسام: وسعة حسية، ووسعة معنوية، ووسعة حقيقية، **فأما الوسعة الحسية فهي**: عن عجز كما قال ﷺ: «البغي كمين في النفس، العجز

يخفيه والقوة تظهره»[1]، فذلك وسعة حسية.

وأما الوسعة المعنوية: فهو التأدب مع الحضرة القدسية بعرفانهم لرب البرية.

وأما الوسعة الحقيقية: فهي كقوم عرفوه وشاهدوه وحققوه وتخلقوا بأخلاقه الحقيقية، ولما أطلعهم أسراره الصمدية وعلومه الأحدية ودقائقه المحمدية ومعارفه الربانية، فأشبعت بواطنهم بالأنوار البهية والأسرار الزكية، فغابوا به عن كل نعمة وبلية وكتموا أسراره عن غير أهلها بالكلية، قال ﷺ:

قوم غدوا بالله أعيان الهدى ... مذ شاهدوا المعنى به وتحققوا

وأهداهم كل الهدى وتولهم ... فيه فنوا أوصافهم وتخلقوا

باعوا نفوسهم إليه بوصله ... وهبوا له أرواحهم وتصدقوا

حطوا الرواحل في حظيرة قدسه ... يرجون، لا يرجوا سواه مطلق

فتولهم وفتح لهم باب الرضا ... فتعرفوا وتحققوا وتدققوا

نالوا علومًا من لدنٍّ بينٍ ... في بعضهم وبجمعهم لم يفرقوا

وتكتموا عن سره بمظاهر ... في وسعة تتلو المعارف تطلق

سعت الوجود فيا لها من وسعة ... كتموا بها سر الإله وأطبقوا

إلا لمن هو أهلها ومحلها ... فيقربوه ويوصلوه ويرفقوا

لا يقطعون من التجا لجنابهم ... وبحبهم وبذكرهم يتشوق

باب في تثليث الذكر

قال ﷺ: والذكر ينقسم على ثلاثة أقسام: قسم حسي، وقسم معنوي، وقسم حقيقي، **فأما أهل الحسي:** فهم يذكرون الله تعالى بألسنتهم ظاهرًا ويغفلون عنه باطنًا، قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١].

---

(١) هو قول ليس بحديث، كما في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٤/ ٣٢٩).

وأما أهل المعنى: فهم يذكرون الله تعالى بالباطن ولا يغفلون عنه في الظاهر، قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ**﴾ [آل عمران:١٩١].

وأما أهل الحقائق: فهم غابوا عن المظاهر والباطن وباطن الباطن وهم العالمون بالله تعالى، قال رضي الله عنه وأرضاه:

أهـــل الحقـــائق ذكـــرهم تـــذكارهم	فيـــه بـــه لا يغفلـــوا عـــن ذكـــره
ســـكروا بخمـــرة قدســـه مـــع أُنـــسه	فـــتراهم مـــستغرقين بـــسكره
غابوا عن الأجنـاس والإحـساس والـ	أنفـــاس والأدنـــاس فيـــه بـــذكره
لا يـــذكرون ســـواه إلا أنهـــم	فيـــه أقـــاموا ذكـــرهم في ذكـــره
فقيـــامهم بـــالله في حركـــاتهم	لا يغفلـــون حقيقـــة عـــن شـــكره

باب في تثليث الوارد[1]

قال ﷺ: **الوارد على ثلاثة أقسام**: وارد رباني إلهي، ووارد ملكي روحاني، ووارد نفساني، **فأما الوارد الرباني**: فإنه يرد بالجلال ممزوجًا بالجمال فيورث صاحبه الكمال، وعلامة ذلك أنه إذا ورد يأتي في أوله حرارة وفي آخره رطوبة، فذلك معنى الوارد الرباني الإلهي، كان النبي ﷺ إذا غمره الوارد الحقيقي يقول: زملوني دثروني، فإذا أفاق تكلم بالقرآن، وكان ﷺ يقول: «**تارة يأخذني عني فلا أدري ما يفعل بي**»[2].

وأما الوارد الملكي الروحاني: فإنه عند وروده يقشعر منه البدن ويكون كله رطوبة، ثم يعقبه تجليات غيبية.

وأما الوارد النفساني الشيطاني: فإنه كله حرارة ولا يعقبه رطوبة، ثم يعقبه أمور حسية لا عبرة بها والحق أحق أن يتَّبع، سألوا الصحابة النبي ﷺ: «**فقالوا: يا رسول الله هل**

---

(١) الوارد: ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمل العبد. ويطلق أيضاً بإزاء كل ما يرد على القلب، سواء كان وارد قبض أو بسط، أو حزن، أو فرح، أو غير ذلك من المعاني.

(٢) روى البخاري (١/ ٤)، ومسلم (١/ ٤٣)، بنحوه في قصة بدء الوحي.

لكل أحد شيطان؟ قال: نعم، قالوا: ولك يا رسول الله، قال: وأنا لكن أعانني الله تعالى عليه فأسلم»[1] قال ﷺ:

الـــواردات ثلاثـــة مـــضبوطة معروفـة عنـد الرجـال عـلى المـدى
وارد إلهـــيٌّ يعقـــب حكمـــة ومـــسرة وحقيقـــة متوحـــدا
وكـــذلك الملكـــي يـــأتي بعـــده بتجليـات الغيـب يعقبـه هـدى
والـــوارد النفـــسي لا تعبـــأ بـــه فـــوروده مـــن بعـــد يعقبـه الـردى
فاســمع مقالــة مرشــدٍ محــق الــسوى وارجــع إلى مــولاك تفهــم مــا بــدا

باب في تثليث الشرك

قال ﷺ: والشرك ينقسم على ثلاثة أقسام: قسم حسي، وقسم معنوي، وقسم حقيقي، فأما القسم الحسي: فهو قسم الكفرة والمشركين، قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة:١]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٧].

وأما القسم المعنوي: فهو شرك المحبة وهو أن يدعي محبة الله تعالى ويدعي مع ذلك محبة الجنة وما فيها، فهذا هو الشرك المعنوي؛ لأنه خفي عن دَرك العوام وعن جميع الأوهام، قال ﷺ:

ومــن شرك الإشراك خلــصك تجــتلي عليك معاني العين من غير حجبـة
ولا تـــدعى مـــع حبـــه بمحبـــة ســـواه وتلقـــاه وأنـــت بـــشبة

وأما القسم الحقيقي: فهو شرك الإخلاص أي: شرك العبودية في الطلب والوقوف مع المراتب، فإذا أخلص غاب عن الطلب بالمطلب، وإذا تحقق غاب عن الكل بالكل، فلم يحقق إلا الله ومن الله وإلى الله من غير كيف ولا أين، فجلَّ ربنا عن الكَيف والأين، قال ﷺ:

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢١٦٨)، وذكره الشيخ في الفتوحات (٥/ ٤٣١).

إلى الله قــوم أخلــصوا في شــهودهم وغـابوا عـن التكـوين والأيــن والبـين
بمطلــــبهم لله فــــازوا بقربــــه بمــشهد حــق والتقــا العــين بــالعين
ولم يــــشركوه في الـــشهود برتبـــة ولا بمقـــام مـــذ أقـــاموا بتمكـــين

باب في تثليث الإخلاص

قال ﷺ: والإخلاص ينقسم على ثلاثة أقسام: قسم حسي، وقسم معنوي، وقسم حقيقي.

فأما القسم الحسي: فهو إخلاص أهل الدنيا للدنيا وما فيها بطلبهم لها، فإخلاصهم للدنيا وزينتها بعدًا عن الآخرة وما فيها، وإخلاص أهل الآخرة أيضًا للآخرة بعدًا عن الله تعالى.

قال بعض السلف: الدنيا عدوة للآخرة، والآخرة عدوة للدنيا، والدنيا والآخرة أعداء أهل الله تعالى.

قال ﷺ في حق أهل الدنيا:

دع الــــدنيا وزينتهـــا وزخرفهـــا هـــو الفـــاني
ولا تـــركن لهـــا أبـــدًا وكـــن عـــن حبهـــا وانِ
فكـــم في حبهـــا قتلـــت وكـــم قـــاص وكـــم دانِ
فثـــق بـــالله وارض بـــه تـــرى خـــيرًا بإحـــسانِ
وتظفـــر في جنـــان الخلـــد بحـــورٍ ثـــم ولـــدانِ
فـــسر عـــن فـــائن دانِ بـــإخلاص وإيـــمانِ

وأما القسم المعنوي: فهو الإخلاص لطلب الآخرة وما فيها، فمن طلب شيئًا وأخلص في طلبه، فهو عبد مطلوبه، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦]. موال:

أخلص إلى الله واترك ساير الإحساس وطهر القلب من غير ومن أدناس

وسر إلى الله تفهم ساير الأنفاس وفي مقام الرضا تلقاه بالإيناس

وأما القسم الحقيقي: فهو الإخلاص لله تعالى من غير طلب شيء إلا هو، فأخلصوا في طلبهم الحقيقي له حقيقة قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، فهذا الإخلاص الحقيقي.

باب في تثليث الشهوة

قال ﷺ: والشهوة تنقسم على ثلاثة أقسام: قسم حسي، وقسم معنوي، وقسم حقيقي.

فأما الشهوة الحسية: فهي شهوة العوام المحجوبين بهذه الأكوان، فهم يشتهون الدنيا وما فيها قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠]، وأما الشهوة المعنوية: فهي شهود الخواص وهي الآخرة وما فيها قال الله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠].

وأما الشهوة الحقيقية: فهي لخاص الخواص المحققين العالمين بالله، وهي المشاهدة لله بالله من غير كيف ولا أين، فجل ربنا عن الكيف والأين. موال:

أهل الحقائق لهم في الله أحسن سير مطلوبهم ربهم لا يطلبون الغير

لا يشتهون سواه فهو كل الخير هذا سير الحقايق نعم هذا السير

باب في تثليث المعرفة

قال ﷺ: والمعرفة تنقسم على ثلاثة أقسام: قسم حسي، وقسم معنوي، وقسم حقيقي، فأما معرفة أهل الحس: فهي معرفة العوام بمعايشهم الدنيوية كالحرفة والصناعة، قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٥]، وأما معرفة أهل المعنى: وهم الخواص، فهي معرفة النفس قال ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1]، وأما المعرفة الحقيقية: فهي لخاص الخواص وهم المحققين العالمين بالله، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾

(١) تقدم تخريجه.

[النساء:١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥]، قال في معنى ذلك ﷺ:

عرفـــت الله بـــالله بمعرفـــة وإيقـــان
شـــهدت الكـــون أجمعـــه معارفـــة بإمكـــان
فمـــن شـــهد الوجـــود بـــه وحققـــه بـــإعلان
رآه في معارفـــــــــه وبِـــهْ في كـــل أعيـــان
بتـــشويق وتحقيـــق وتـــدقيق وإيـــمان
فأنـــت هـــو الـــذي تبقـــى بـــه في الكـــون نـــشوان

باب في تثليث الكرم

قال ﷺ: والكرم ينقسم على ثلاثة أقسام: كرم حسي، وكرم معنوي، وكرم حقيقي، **فأما الكرم الحسي**: فهو الكرم الدنيوي وهو الجود بالمال وغير ذلك من مأكل ومشرب ما أشبه ذلك وهذا لعامة أهل الطريق، **وأما الكرم المعنوي**: فهو لخاص أهل الطريق وهم المتقون قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، **وأما الكرم الحقيقي**: فهو لخاص الخواص وهم الذين تكرموا بأرواحهم في حب الله تعالى كما قال ابن الفارض ﷺ:

إذا جـــادَ أقـــوامٌ بـــمالٍ رأيـــتَهُمْ يجـــودونَ بـــالأرواحِ مِـــنْهُمْ بِـــلا بُخـــلِ

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]؛ وقال ﷺ:

إلى الله قـــوم في الـــدنا قـــد تكرمـــوا بـــأموالهم يرجـــوا بـــذلك إحـــسانًا
وقـــوم إلى التقـــوى أقـــاموا تكرمًـــا كـــما أنـــزل الـــرحمن في ذلـــك قرآنًـــا
فتلـــك نجـــومٌ يهتـــدى بمـــسيرهم بعـــين يقـــين ثابـــت ثـــم إيمانًـــا
وقـــوم وهـــم حـــق اليقـــين تكرمـــوا بـــأرواحهم في الحـــب لله قربانًـــا

فنالوا بذاك السر وهو اتصالهم   به في الورى جهرًا وسرًّا وإعلانًا

هم الكرماء العارفين حقيقة   هم الغوث وقت الكرب والصب حيرانا

باب في تثليث السُّكر(١)

قال ﷺ: والسكر ينقسم على ثلاثة أقسام: سكر حسي، وسكر معنوي، وسكر حقيقي، **فأما السكر الحسي**: فهو سكر الخمر المنهي عنه في دار الدنيا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وأما السكر المعنوي: فهو سكر المحبة وهم الذين سكروا في محبة الله ففتنوا بلطائف الله قال ﷺ:

رجال بحب الله غابوا عن السوى   وغابوا عن التكوين في الحب بالسكر

وأسكرهم من صرف صافي وداده   بخمر رحيق معنوي مدى الدهر

فعزوا به لما أعز جنابهم   وقاموا له في الكون بالحمد والشكر

وأما السكر الحقيقي: فهو لخاص الخواص وهم الذين غابوا عن الكل بالكل، فسكروا له سكرًا حقيقيًا قال ﷺ:

لقد غبت في سكري بسكري عن السكر   وعن كل كل الكل فيه فلا أدري

---

(١) السُّكْرُ غيبة بوارد قوي، والمراد بالغيبة: عدم الإحساس، كما سيأتي. فمن غاب بوارد قوى سمي سكراناً، وذلك أن العبد إذا كوشف بنعت الجمال الذي عرفته في باب تجلي الأفعال حصل له السكر وطرب الروح، وهام القلب، فإذا عاد من سكره سمي صاحياً، والصحو مختص بأهل السماع، فإن السكران لا يسمع ولا يفهم، كما أن السكر حال صاحب الرؤية عندما ينقهر تحت سلطنة الجمال.
وما يخفى أن الصحو والسكر بعد الذوق والشرب، وقد يعني السكر رؤية الغير والغيرية، ويقابله صحو الجمع كما سيأتي. وقد يفسر السكر بأنه حالة للنفس ترد عليها من عالم القدس تؤدي بها إلى ما هي بصدده من النظام المتعلق بعالم الأجسام، بحيث يوجب الاختلال في الحركات والسكنات. ويقال: الصحو، ويراد به الرجوع عن تلك الحالة، بحيث يزل ذلك الاختلال الواقع في النظام والعود إلى ما كان عليه بالتمام. [اللطائف للقاشاني].

أسكران فيه أم به كنت صاحيًا كذا المحو والإثبات فيه انتهى أمري

سكرت به مذ غبت عن كل كائن فسكري به سكري وذكري به ذكري

باب في تثليث الطرب

قال ﷺ: والطرب ينقسم على ثلاثة أقسام: طرب حسي، وطرب معنوي، وطرب حقيقي، **فأما الطرب الحسي**: فهو للعوام وهو أن يطرب بأذنه لسماع الصوت والحرف وهذا لا عبرة به.

وأما الطرب المعنوي: فهو للعارفين وهو أن يطرب بعين قلبه. موال:

دع عنك عقلك وحسك واستمع مني واطلب معانيك منك فيك ما يغني

واطرب حقيقًا بعين القلب تشهدني وغب عن الحس بالمعنى وخذ عني

وأما الطرب الحقيقي: فهو للمحققين وعلامة ذلك هو أن يغيب عن الكل بالكل بطربه بحقيقة المعنى قال ﷺ:

لقد غبت في طربي بحق حقيقتي عن الكل ما إن جمعت بجمعتي

سماعي مني واطّرابي بنغمتي وبسطي بي في حان قدسي وحضرتي

فمذ أشهدتني عينها وعيانها بحان الرضا فيه طربت بنشوتي

واسمعني منه خطابًا محققًا بلاهوته من عين حق الهوية

ولقد حضر الأستاذ ﷺ ذات يوم عنه شخص قد مات والمغسل يغسله، فقال له شخص من الحاضرين: يا سيدي أنت تقول: إن الكون جميعه برز من ثلاث فما يقول في هذا التغسيل هل ينقسم على ثلاثة أقسام؟ فقال: نعم يأتي إليك جوابك إن شاء الله تعالى، فلما دفن الميت أخذ الأستاذ السائل ودخل به الحمام، وأحضر صانعًا فحلق لهما رؤوسهما وكيسهما وغسلهما، فقال الأستاذ للسائل: عند ذلك يا ولدي المغسل ينقسم على ثلاثة أقسام: مغسل دنيوي، ومغسل أخروي، ومغسل معنوي، **فأما المغسل الدنيوي**: فهو دخول الحمام وانطراح الرجل للمغسل وهو المدلك بغسله قال ﷺ:

وحمام أتيت له سُحيرًا لتنظيفي وتغسيلي وغسلي

فغسّلني المغسل كيف ما شا ونظفني ورحت بكل فضلي

وأما المغسل الأخروي: وهو مغسل الميت عند الموت بعد طلوع الروح من الجسد.

وأما المغسل المعنوي: فهو تغسيل للمريد بعد فنائه في حضرته وموته في طريق الله تعالى، قال الجيلي ﷺ:

إذا ساعد المقدور أو ساقك القضا إلى شيخ حق في الحقيقة بارع

فقم في رضاه واتبع لمراده ودع كل ما من قبل كنت تصانع

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع

باب في تثليث الوهم

قال ﷺ: والوهم ينقسم على ثلاثة أقسام: وهم حسي، ووهم معنوي، ووهم حقيقي، **فأما الوهم الحسي**: فهو وهم أهل الدنيا في الدنيا من حاكم أو متجبر أو معلم أو ما شابه ذلك، قلت في ذلك:

المرء يوهمه ما كان يفعله مخالف في جميع الأمر والشان

باب في تثليث الأمر والنهي

قال ﷺ : والأمر والنهي ينقسم على ثلاثة أقسام: قسم حسي، وقسم معنوي، وقسم حقيقي، فأما القسم الحسي: فهو علم اليقين وهو اتباع ما أمر الله ورسوله به والنهي عما نهى الله ورسوله عنه قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

القسم المعنوي: فهو عين اليقين وهو ما يأمرك به شيخك من الأمور الباطنة، فيما يأمرك بفعله وما ينهاك عنه، قال ﷺ:

شيخك تمثل أمره واكتم سره وانتهي عما ينه عنه

وافن فيه تبقى به واتبع ما يأمرك باتباعه ثم صنه

واكتم السر واصدق القول معه واتبع الحق تشهد العين منه

وأما القسم الحقيقي: فهو حق اليقين وهو معرفة الله تعالى، فهو أمرك بمعرفته ونهاك أن لا تفوه بسره قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال بعضهم معناه أي: ليعرفون، وقال ﷺ: «إفشاء سر الربوبية كفر»[1]

باب في تثليث الاستقامة

قال ﷺ: والاستقامة تنقسم على ثلاثة أقسام: قسم ظاهر، وقسم باطن، وقسم حقيقي، فأما الاستقامة الظاهرة: فهي العبادة وهي على الجوارح قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[2]، وقد تقدم في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧]، وأما الاستقامة الباطنية: فهي للقلب وهي العبودية وهو كتم سر الله تعالى، قال بعضهم:

أجـــب داعيًـــا لله يـــدعوك باطنًـــا ... ولا تعتـــذر فـــاليوم لا يقبـــل العـــذر

وأما الاستقامة الحقيقية: فهي للروح وهي العبودية وهو أن تمحو كل ما سوى الله تعالى قال ﷺ في قصيدته الدالية:

محـوت وجـودي في هـواه فلـم أجـد ... سـوى واحـد فـرد وحيـد ومقـصد

وهو أن يكون شهوده حقًا بحق من حق لكن يكون مخاطبًا كل طائفة بها يناسب حالها من شريعة وطريقة وحقيقة، كما قال ﷺ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»[3].

قال رضي الله عنه وأرضاه ورحمنا به:

ألا أيهـــا الطـــلاب جـــدوا بعـــزمكم ... إلى عـــارف يهـــدي النفـــوس بأنـــسه

وســـــيروا لـــــه في أي أرض يحلهـــــا ... بحـــسن اجتهـــاد في الغـــدو وأســـه

إذا جئتـــه فادخـــل بنيـــة صـــادق ... ولطـف عـسى تكتـب بـديوان طرسـه

فشرط الفتى في الحب أن يـترك الـسوى ... ولا يلتفـــت يومًـــا لأبنـــاء جنـــسه

وأن يـــستقم في ســـيره واجتهـــاده ... إلى العـــارف المعـــروف فـــانٍ لحبـــه

ويغـــرس في أرض الخمـــول غريـــسه ... ويـدفن تلـك الـنفس في أرض رمـسه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (١/ ١٧)، ومسلم(١/ ٥١).

(٣) تقدم تخريجه.

فبعد الفنا يعطيك ما أنت قاصد وتظفر في الدارين منه بأنسه

ومن بعد ذا تُهدى لكل معارف وتلقى الهنا منه بحضرة قدسه

ويوليك إحسانًا وخيرًا ونعمة وبالصدق في هذا يقيك بنفسه

فسر واجتهد واخلص إلى الحق واستقم به تلق ما يرضيك من طيب أنسه

تمت الثلاثية للعبد الفقير إلى الله تعالى الواثق بربه المجازي الفقير إلى الله تعالى محمد الجيزي المحمدي أعاد الله علينا من بركاته وتداركنا وإياه برحمة من عنده بمحمد ﷺ وآله وصحبه وسلم.

وهذا منقول من نسخة بخط المصنف على يد أفقر العباد إلى رب العلى محمد بن مصطفى غفر الله له ولوالديه في غرة شهر محرم سنة ألف ومائة وثلاثة وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.



رسالة في معنى

لا إله إلا الله

تصنيف

الشيخ العلامة سيدي عبد الغني النابلسي

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى ﷺ.

أما بعد؛ فقد سألتني يا أخي عن معنى قول القائل: لا اله إلا الله المعبود بكلِّ مكان[1]، لا إله إلا الله الموجود بكلِّ زمان، وأنا أجيبك عن معنى ذلك بعون الله تعالى،

---

(١) ولنذكر توضيحًا مهما في المسألة عند الأشاعرة ومذهب من يقول بالمعية الذاتية من ساداتنا الصوفية وإيضاح ذلك: اعلم أن المعتزلة وجمهور النجارية قالوا إنه تعالى بكل مكان بالعلم والقدرة والتدبير دون الذات وهذا باطل لأن من يعلم مكانا لا يقال إنه في ذلك المكان بالعلم فما شاع عند بعض من يتتسب للتصوف من يقول : «إن الله تعالى بكل مكان «لا يجوز» فقد نقل الشيخ الشعراني عن سيدي علي الخواص أنه قال: لا يجوز أن يقال إنه تعالى بكل مكان، قال صاحب روح البيان في تفسيره ردًّا على ما قاله أولئك: إن الله موجود بكل مكان بل قالوا : إنه تعالى بكل مكان دون أن يضيفوا كلمة موجود وبين قول القائل: إن الله بكل مكان. وقول القائل : إن الله موجود بكل مكان؛ فرق كبير لأن كلمة «موجود» إثبات للتحيز في المكان صريح، اللهم إلا أن يكون بعض الأشخاص لا يفهمون من قولهم موجود التحيز فهؤلاء ينظر في حالهم إن كانوا لا يعتقدون تحيز الذات في الأماكن فلا يكفرون لكن كلامهم هذا كلام فاسد أصله إلى المعتزلة والجهمية، فوضح أن الذي قالها بالباء أو بحرف (في) إن كان يفهم من هذه العبارة تحيز الذات القديم الأزلي المقدس في الأماكن كلها فهو كافر من أكفر الكفار لأنه إذا كان الذي يعتقد أن الله متحيز بمكان واحد كالعرش كافرًا لأنه أثبت لله المشابهة لخلقه وذلك لأن فوق العرش كتابًا كتب الله فيه: «إن رحمتي تغلب غضبي». رواه البخاري وابن حبان، فلو كان الله متحيزًا فوق العرش لكان ذلك الكتاب مثلاً لله، وكذلك اللوح المحفوظ على القول بأنه فوق العرش فتبين بطلان ظن المشبهة أن كون الله فوق العرش تنزيه له عن المثل فكيف الذي يعتقد في الله التحيز في كل مكان؟! فقد جعله منتشرًا منبثًا في الأماكن النظيفة والأماكن القذرة؛ لكن هؤلاء العوام حالهم يدل على أنهم لا يقصدون التحيز إنما يقصدون أنه تعالى محيط بخلقه قدرة وعلما إلا أن بعضهم يعتقد ذلك الاعتقاد الفاسد وهو أن ذاته منتشر.

قال الشيخ العطار في رده على السعد التفتازاني:

قال السعد -رحمه الله وعفا عنه- من بعد ما أنهى الكلام على لوازمه العقلية التي أوردها على عقائد القوم الذين وافقوا فيها حضرة هذا الهمام من القول بوحدة الوجود الحق، وقد عرفت بطلان جميع لوازمه المذكورة في ذلك، وأمَّا استدلالهم بالسمع فبقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]. وقوله تعالى: ﴿وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

قال السعد -رحمه الله- وجوابه:

إن المراد بالمعيَّة هنا: ما أجمع عليه المفسِّرون: المعيَّة بالعلم، لا بنفس الذات؛ لاستحالة كون الذات الواحد في آن واحد في كل مكان، ويلزم على هذا التقدير أن يكون قوله تعالى لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ

=

وَأَرَى﴾ [طه:٤٦]. وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] مناقضًا لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد:٤]. وقوله تعالى: ﴿إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧]؛ لأن معنى الآية الأولى على ما يقتضيه المقام: إنه تعالى مع موسى وهارون لا مع فرعون وملأه، وإنه تعالى مع النبي ﷺ، وأبي بكر ﷺ لا مع أبي جهل وغيره من أعدائه، وإنه تعالى مع الذين هم محسنون دون الظالمين المفسدين، فلو كان معنى الآية: إنه تعالى بذاته في كل مكان لتناقض، انتهى.

أقول: وبه أثق وأستعين إن مذهب هذا العارف، ومَن حذا حِذوه، هو بعينه في نحو هذه المسألة مذهب السلف من وجه، وهو الأخذ بالظواهر المفهومة من كلام الله، وكلام رسله جميعًا عليهم الصلاة والسلام، سواء كان ذلك تنـزيهًا أو تشبيهًا، فالأمران في الشأن الإلهي على حدٍّ سواء عنده بلا فرق؛ لأن الكل من عند الله.

فالوقوف عند أحدهما دون الآخر ليس هو إلا تحكُّمًا، وإن مَن أَوَّل وصَرَّف الألفاظ عن ظواهرها مع أنه متعسِّفٌ جاهلٌ، صاحب سوء أدبٍ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن العظيم، ليقف عنده العربي والعجمي، وليس هو خاصًا بالخواص، والمفهوم من الألفاظ عند العموم، إنما هو معانية الأولية، وهكذا أقوال الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام- فإنهم تكلَّموا بمثل هذا، وخاطبوا به عوام الذين لا يدرون التأويل، ولا يخطر لهم ببال.

وإن المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] إنما هو المعيَّة الذاتية عند العموم لا المعية بالعلم، فإنهم لا يدرونها، والحال إنهم مخاطبون بسماع القرآن العظيم كالخواص كما تقدَّم، فثبتت المعيَّة الذاتية بالمفهوم الأول المقصود من اللفظ بهذا النص، ولو أُريدت المعيَّة بالعلم وخُوطب بها العموم؛ لقيل علم الله، أو علمه، أو علمي معكما أينما كنتم، فإنه تعالى أعلم بمراده بكلامه من المؤوِّلين الصارفين مفاهيم الألفاظ إلى غيرها.

فكون المفسِّرين أجمعوا على المعيَّة بالعلم لا يصلح للمعارضة؛ إذ هو على مذهب دون مذهب، حيث وافقوا في ذلك مذهب الخلف، ولا قائل ببطلان مذهب السلف، فإنه أسلم وفيه الأدب، وهذا الذي مشى عليه هذا الهُمام، وأما لازم السعد الذي ذكره من أنه لو كانت المعيَّة بنفس الذات؛ لكان الشيء الواحد في آن واحد في كل مكان، وهو غير معقول؛ بل هو محال.

فجوابه: إن هذا اللازم ليس بمحال عند هذا العارف ﷺ، حيث كانت جميع الأشياء قائمة بهذا الوجود الحق، وليس لها القيام بنفسها، وهو موضوع المسألة التي خالف بها السعد هذا الهمام، ولزوم كون الشيء الواحد في آن واحد في كل مكان مدفوع؛ لرجوع الأمر لشيء واحد ظهر في مظاهر قائمة به لا تخلو عن الأمكنة، فالأمكنة المتعددة للمظاهر المتعدِّدة لا للوجود الحق، والأشياء وإن قامت به فهي أغيار باعتبار خصوصياتها.

وبهذا اندفع شبهة سنذكرها بعد، فما كان شيء واحد في آن واحد في كل مكان، بل أشياء قائمة بشيء واحد لا تخلو عن الأمكنة، وبقى هنا لازم مشهور بين أهل العلم، وهو إنه يلزم من كون المعيَّة

=

ذاتية، أن يكون الذات مع الشيء حيث كان الشيء، ومن الأين ما هو مستقذر، وهو تعالى يتعالى عن الأين مطلقًا، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٨٠]، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُواً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٤٣].

وبسط الكلام هنا أن يقال: إنه سبحانه وتعالى «كان الله ولا شيء معه» كما صحَّ في حديث، وذلك في مرتبة أحديته الذاتية الثابتة له تعالى أزلاً وأبدًا؛ ولذا قال الجنيد ﷺ: وهو الآن على ما عليه كان، وهذا الإشكال فيه، ثم ذكر لنا سبحانه وتعالى: إنه معنا حيث كنا قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد:٤]، فنسب المعيَّة له سبحانه وتعالى على وجه يعلمه هو، لائق بمرتبة ألوهيته، وكمال ربوبيته. ولاشك أن المعيَّة من سمات الحوادث، وقد نسبها تعالى إليه من سمات الحدوث من أن معناه ما يُفهم من اللغة بالمفهوم الأول؛ إلا أن نسبته إليه تعالى مجهولة علينا، وموكول علمها إليه لا إلى غيره كائنًا مَن كان، وإذا عُلم الشيء من اللفظ، وجهلت نسبته حال تركُّبه تركيبًا تامًا أو ناقصًا؛ بطلت جميع لوازمه؛ لتحقُّق الجهل بالوارد من تمام التركيب، وعلى هذا فلا إيراد.

وهذه النسب تكون لمرتبة ألوهيته لا إلى ذاته الأقدس الأنزه؛ لتعاليه تعالى، والحالة هذه عن كل شيء كما تقدَّم، وقد علمت من قولنا السابق أنه لا يجوز لأحد إطلاق شيء من سمات الحوادث عليه تعالى، وإن نسبة هذه إليه تعالى لا يكون إلا من وجه ألوهيته الجليلة العظيمة، فبطلت اللوازم الواردة في هذا الموطن على المذهبين، مذهب أهل الحق القائلين بالوحدة، ومذهب أهل النظر حيث جُهلت النسبة.

بقى الكلام على الآيات التي أوردها السعد -رحمه الله- في معرض الاعتراض على ما ذهب إليه هذا الهُمام من القول بالمعيَّة الذاتية، وإنما هي المفهومة من اللفظ القرآني.

الآية الأولى: قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:٤٦].

وجوابه: إن هذه المعيَّة معيَّة مخصوصة يُراد منها المعية بالمعونة، فما اتَّحدت بالمعيَّة المطلقة الذاتية، وإذا اختلف الموضوع في المسألة؛ انتفى التناقض بينهما على أن هذه الآية تصلح دليلاً لِما ذكره هذا العارف، حيث كان ختم الآية: أسمع وأرى، والذي يسمع هو الواجب تعالى لا علمه؛ إذ لا معنى لقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:٤٦].

الآية الثانية: وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، فالمعيَّة هنا أيضًا معيَّة مخصوصة، وهي المعيَّة بالنصر، فلم تناقض المعيَّة الذاتية.

الآية الثالثة: أيضًا المعيَّة فيها معيَّة بالمعونة لا مطلقًا، وهذا من قبيل قوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم»: أي نظر رحمة، وإن كان ينظر مطلقًا، فبطل قول السعد هنا في جميع ما أورده على هذا الهمام، هذا وإن القول بالمعيَّة الذاتية؛ هو مذهب أهل التحقيق، وأهدى إلى سواء الطريق؛ وذلك لظهور تحقُّق علمه تعالى بكل الأشياء فردًا فردًا، وذرَّةً ذرَّةً، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة، وهو بكل شيء عليم، ولا يؤوده حفظهما؛ لأنه تعالى إذا كان مع الأشياء؛ يعلم من علمه بنفسه الأشياء، ولا أقرب من هذا، ولا أكمل.

=
وأمّا كون الصفة: أي صفة العلم معنا، ومع الأشياء كما عليه أهل النظر؛ فليس لهذا القول ما للأول من ظهور إحاطة علمه تعالى بكل شيء، هذا وإنه قد نُقل إلينا تواترًا من أن بعض الأولياء كان في آن واحد في أماكن متعدِّدة، وقد أدركت مَن أدرك هذا، والله أعلم.

ونقل الشيخ الشعراني في مختصر الفتوحات ما نصه: ومن كلامه أيضًا رحمه الله في المعية في نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد:٣٥]، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

اعلم أن المعية ثابتة نقلاً وعقلاً، ويلزم اعتقادها وشهودها ذوقًا وعقلاً، وحقيقتها مصاحبة شيء لآخر سواء أكانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته، أو جامدين كالإنسان مع مثله أو واجبًا وجائزًا، وهو معية الله تعالى لجميع خلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾، وما في معناه من الآيات والأخبار كما هو معلوم من أن مدلول الاسم الكريم إنما هو الذات اللازمة لها الصفات المقتضية لتعلقها بجميع الممكنات، وليست كمعية متميزين لعدم مماثلته تعالى لما سواه من المخلوقات المحققة بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة الأينية الزمانية والمكانية بل على ما يليق به من الكمالات تعالى الله عن الشبيه والنظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ولذلك انتفى القول بلزوم الحلول لمعية الذات ويلزم على القول بمعية الصفات دون الذات انفكاك الذات عنها وبعدها وتميزها، وسائر لوازم المعية التي لا يصح إطلاقها على الذات المقدس ولا على صفاتها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشيء معية الذات له وعكسه لتلازمها مع تعاليهما عن المكان ولوازم الإمكان.

وهذا القول يحاكي قول المعتزلة فيما نقله عنهم العلَّامة القونوي في شرح «عمدة النسفي» وحكم ببطلانه حيث قال: وقول المعتزلة، وجمهور النجارية: أنه تعالى بكل مكان بالعلم والقدرة والتدبير دون الذات باطل؛ لأن من علم مكانًا لا يقال: إنه في ذلك المكان بالعلم أي لما يلزم على ذلك انفكاك الذات عن الصفات، فإن قيل: معية الذات دون الصفات مجازية لا حقيقية؛ فلا يلزم ما ذكر من اللوازم على القول بها، قلنا: نعم لا يلزم الانفكاك فقط والحالة هذه ولا يلزم ما عداه من اللوازم؛ لأن مدلول قولك لا بالذات أو لا بالذات ولا بالصفات نفي معيتها حقيقة ويلزم منه ما ذكر من المعية وغيرها.

وقد قال الأستاذ المحقق الشيخ محمد الشهير بابن العربي فسَّح الله في مدته: نحن أحق بتنزيه الحق تعالى من سائر المعترضين الذين ينفون معية الذات؛ وذلك لأن القول بالاستقلال المؤذن بالانفكاك المستحيل ممنوع وأعني بالاستقلال استقلال الصفة دون الذات أو استقلال الذات دون الصفات بالتعلق بالمعلومات، انتهى.

يعني أن كلاً من الذات والصفات لا تستقل بمعيته للممكنات، وصرح الشيخ محيي الدين في الباب السابع والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الرقيب بذلك فقال: ليس في الحضرات من يعطي التنبيه على أن الحق تعالى معنا بذاته إلا الاسم الرقيب؛ لأنه على الحقيقة من الرقباء وهو أن يملك برقبة الشيء فإذا ملكت رقبة الشيء تبعته صفاته كلها وما ينسب إليه.

وقال ابن اللبان في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥] في ذلك دليل على أن قربه سبحانه من عبده قرب حقيقي مع تعاليه عن المكان؛ لأنه لو كان يراد بالقرب قربه

سالكًا فيه أوضح المسالك، إنْ شاء الله تعالى.

فأما المعبود بكلِّ مكان، فإن «أل» في المعبود اسم موصول معناها الذي عبد والذي يعبد، وقوله: بكل مكان، وهو ظرف للعابد وعبادته، لا للمعبود الحق تعالى؛ فهو ظرف للصلة لا الموصول والفائدة الذي تقديره «هو»، وهذا معلوم في نظير هذا التركيب من جميع التراكيب في اللغة العربية؛ فإنك إذا قلت: زيد مذكور في الشام أو في مصر أو في بلد كذا، وإنما معناه أن ذكره في الشام أو في مصر أو في بلد كذا، ومثله إذا قلت: إنَّ اللهَ مع معلوم في قلبي أو معروف أو في عقلي، فليس معناه أن الله حال في قلبي أو ساكن عندي أو مستقر في عقلي، وإنما معناه أن العلم به تعالى في قلبي، وأن معرفته عندي، وفي عقلي.

=

بعلمه أو بقدرته أو صفاته لقال ولكن لا تعلمون ونحوه فقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ يدل على أن المراد القرب الحقيقي المدرك بالبصر والبصر لا تعلق لإدراكه بالصفات المعنوية وإنما يتعلق بالحقائق المرئية، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] يدل على ذلك؛ لأن أفعل من يدل على الاشتراك في القرب ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد، أي: لأن قرب الصفات معنوي بخلاف قرب حبل الوريد ففي نسبة أقربيته تعالى إلى الإنسان من ﴿حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الذي هو حقيقي دليل على أين قربه تعالى حقيقي أي: بالذات اللازم لها الصفات، فانتفى أن يكون المراد بالقرب قربه بصفاته فقط بل قربه بالذات أيضًا، ويلزم من القرب بما ذكر معيته تعالى بما ذكر أيضًا إذ هي بمعناه، فلا يعقل مجردًا عنها ولا يلزم من ذلك في حقه تعالى المكان لما تقرر، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وإن ﴿أَيْنَ﴾ أطلقت لإفادة معية الله للمخاطبين في الأين اللازم لهم لا له سبحانه وتعالى فهو مع كل صاحب أين بلا أين، ونحو ذلك.

وأيضًا قول ابن القيم: وهذه معية لا تعلم إلا بالذوق دون العبادة والوصف وذلك لعدم مماثلته تعالى لما سواه من جميع الوجوه، وكذا القول في كل ما ثبت له لا يماثله ما شاركه في التسمية، ولا فيما تدل عليه، وهو تعالى على ما هو عليه في نفسه كما ذهب إليه أهل الحق من الأولين وطابق اجتهاد أهل الحق من المتأولين ثم ما تقرر هنا لا ينافيه قولهم في الكلام على المعية، وذاته تعالى منزهة عن المعية فليست مع شيء ولا معها شيء ولكنه مع كل شيء بصفاته إلى قولهم: فقد أظهر أن المعية من أحكام الصفات لاعتبارهم المعية هنا من حيث الواحدية التي ثبتت معها المكونات، وهناك من حيث الأحدية التي تضمحل بها ويحترق ما قام وظهر أن المعية من أحكام الصفات عن الصفات من الممكنات وإلى الفرق بين ما أودعه الله تعالى في كل اسم منها من الذكر، وكيفية بيان وضعها وتركيبها وضبط ألفاظها المفحمة.

ولا فرق في اللغة العربية بين قولك: المعبود والمذكور؛ فالمعلوم والمعروف من جهة أن كل واحد منها اسم مفعول، وإن اختلفت معانيها، و«أل» فيها موصولة، واسم المفعول صلتها، والضمير مستتر عائد الموصول، ومعناه الذي ذكر أو يذكر، وعلم أو يعلم، وعرف أو يعرف، وهكذا.

وأما الموجود بكلِّ زمانٍ؛ فالموجود صفة اسم المفعول أيضًا يعنى الذي حكم المكلف بوجوده إيمانًا به، وإذعانًا له، وتصديقًا لكتبه ورسله المخبرين عنه تعالى حق محقق، وقوله: بكل زمان أي: في كل زمان؛ فهو ظرف للحاكم بوجوده؛ فإن الحاكمين بوجوده من المكلفين وغيرهم كائنون في كلِّ زمانٍ إنْ شاء الله تعالى؛ فهو كالأول هذا إن اعتبرنا اشتقاق لفظ الموجود عن وجد يوجد وجودًا، وأنه اسم مفعول، وإن اعتبرنا أنه بمعنى الثابت المحقق في نفسه الذي ليس وجود تابعًا لحكم حاكم به من مكلف أو غيره، وهو الغيب المطلق عن العقول، فإنه لا شبهة، ولا شكَّ بأنه محيط بكلِّ زمانٍ، وبكلِّ مكانٍ، وبكلِّ إنسان، بل بكلِّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء:١٢٦].

والمحيط بالشيء يكون محيطًا به من جميع جهاته، فيحيط به من داخله، ومن خارجه، ومن فوقه، ومن تحته، ومن يمينه، ومن شماله، ومن خلفه، ومن قدامه؛ فهو محيط بكلِّ شيءٍ من هذه الجهات كلها، بل محيط بهذه الجهات كلها نفسها؛ فإذا قيل عنه بأنه محيط بها من داخلها، فأخبر عنه مخبر بهذه الإحاطة فقط دون بقية الإحاطات كان الكلام صدقًا في حقِّه مثل هذه العبادة أنه موجود في كلِّ زمانٍ؛ لأنه المحيط بكلِّ زمانٍ.

والمحيط بالشيء يجوز أن يقال بأنه فيه لا على معنى الظرفية، بل على معنى الاستعلاء عليه من جميع جهاته وسائر عباداته، فيكون إخبار عنه من وجه دون بقية الوجوه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:٣] يعنى: إنه مسمى بهذا الاسم، وهو الاسم لله في السماوات وفي الأرض، لا أنه حال في شيءٍ من ذلك، وكذلك القول بأنه تعالى الموجود في كلِّ زمانٍ أي: المحكوم بوجوده عند أهل كل زمان، وهذه عجالة الوقت تتمم بمدد الفياض العليم، وببركة بسم الله الرحمن الرحيم، والله أعلم وأحكم.

فهرس الموضوعات